



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور بالجلفة



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات والفنون

عنوان المذكرة

جماليات الأسلوب في النص المعجز سورة النازعات "أموذجا"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها
تخصص أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

عايدي طاهر

إعداد الطالبين:

- دحمان عمر المختار

- قرميطي مليكة

لجنة المناقشة:

رئيسا /1

مقررا /2

مشرفا /3

السنة الجامعية : 2016م/2017م

1437هـ/1438هـ



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور بالجلفة



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات والفنون

عنوان المذكرة

جماليات الأسلوب في النص المعجز سورة النازعات "أَمْوِذْجًا"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها
تخصص أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:

عايدي طاهر

إعداد الطالبين:

- دحمان عمر المختار

- قرميطي مليكة

السنة الجامعية : 2016م/2017م

1437هـ/1438هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى من عانقت روحي روحها، فسمت بها إلى أعلى عليين . . . إلى ذلك القبس النوراني الذي ملأ أطواقني بفيض نور غامر

إلى أمي الحبيبة .

إلى جزئي الثاني . . . إلى روحي التي أتنفس بها في حياتي . . . فتقودني إلى كل تفوق وتميز وخير . . . إلى زوجتي .

إلى قرّة عيني سندي الذي يعضدني في كل حين . . . إلى الذي يعطي دون أن ينتظر، ويجود دون مقابل . . . إلى أخي

"عبدالقادر" .

إلى فلذة كبدي، ورياحين بستان حياتي، وزهرات عمري . . . إلى "حكيم" و"هديل" و"لينة" و"أنس" .

إلى كل بناتي وأبنائي عائلتي . . . وامتدادي .

إلى كل الصابرين في درب البناء والعمارة، من أجل التميز وإثارة الفكر . . . وعمارة الوجدان .

إلى كل هؤلاء وأولئك . . . أهدي هذا العمل .

دحمان عمر المختار

إهداء

أحمد الله تعالى على عونه وتوفيقه على إتمام هذا العمل المتواضع والذي أهدي ثمرته إلى من قال فيهما الله

تعالى: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا" والدي العزيزين .

إلى من نمتي غصني معهم وترعرعت بينهم إخوتي الأعزاء .

إلى والدي الثاني: بونشادة محمد .

إلى زوجي وابنتي العزيزتين: أميرة، نوال .

إلى كل أفراد العائلة كبيرها وصغيرها .

إلى كل من حفظهم قلبي ولم يذكروهم قلمي .

شكر و عرفان

أشكر المولى عز وجل لقوله تعالى:

﴿ يَنْشُكْرُكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: 07]

وفي الحديث الشريف:

(من لم يشكر الناس لم يشكر الله)

الذي أعاننا على شق طريق النجاح

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أسناذنا الفاضل عايدي طاهر

الذي كان بمثابة المرشد والناصح في هذا البحث

وكل الأساتذة الذين رافقونا في مشوارنا الدراسي بدءاً من الطور الابتدائي إلى غاية

الطور الجامعي .

كما نتقدم بالشكر للذين وفرنا وقتهم وحرصوا على أن يظهر

هذا العمل على أحسن وجه .

مقدمة

مقدمة:

إن كثرة الدراسات اللغوية والاهتمام بها في الوقت الحاضر ولاسيما المناهج اللغوية في دراسة الأدب أو في الدراسات الأدبية، قد مهّد السبيل إلى ظهور النظرية اللغوية الحديثة بوصفها نظاما مساعدا في النقد الأدبي.

وثمة مناهج أو مداخل كثيرة، متباينة في نظرتها إلى النص الأدبي تحليلا وتقديرا، وتقويما، ومنها على سبيل المثال المدخل اللغوي أو المنهج اللساني الذي لا يستغني عنه الناقد الأدبي. فعلم اللغة يمنح النقد الأدبي سندا نظريا بوصفه ضرورة كضرورة الرياضيات للفيزياء، والناقد الجيد بحكم اهتماماته في تحليل النص وكشف جمالياته البلاغية والفنية هو لغوي جيد، علما أن لا وجود لأي نص أدبي خارج حدود لغته، الإثارية أو الانفعالية شريطة أن يكون التعبير عن عناصر النص سليما ومقبولا عند المتلقي الذي لا يقل شأنًا عن مبدع النص، بمنظور النقد الفني التحليلي.

أن علم اللغة يتعامل مع الأنماط والأساليب في حين تتعامل الأسلوبية مع النماذج والرموز ومن هنا صارت "الجملة" الوحدة في علم النماذج والرموز ومن هنا صار النص مجموع الجمل أي الوحدة الكبيرة في الأسلوبية، وهو أي النص الأساس الذي يقوم عليه التحليل الأسلوبي لذي مهّد إلى التحليل النقدي الذي تحوّل إلى تحليل نقدي لغوي من خلال الجملة أو إلى تحليل نقدي أسلوبي من خلال النص.

إن الجملة والنص هما عماد التحليل اللغوي الأدبي الذي وجد في الأسلوبية التي تحلل الأشكال والأسلوبية الأدبية التي تحلل المضامين.

إن النّقْم الذي حظي به الحقل اللساني أو اللسانيات في العصر الحديث دراسة وتحليلا وتقويما ونقدا ذاتيا إيجابيا أو سلويا قد تسرّب إلى الحقل النقدي الأدبي الذي لم يكن

بمعزل عن المناخ العام الذي تمثله ثورة المعرفة الإنسانية بمصطلحاته الجديدة، ورؤاها المتعددة في الربط بين الثقافة النقدية الأدبية والثقافة اللسانية تخصصا ومفهوما ومنهجيا وإذا كان الأدب "أرضا مالك لها" - على حد تعبير الشكلايين الروس - فإن التقدم الثقافي والحضاري الذي اتسمت به اللسانيات في القرن العشرين ولاسيما بعد العقد الثاني منه، وتطور النقد الأدبي منها ودراسة وتحليلها، قد هيأ المناخ لتحسين هذه الأرض وحمايتها وإعطائها شرعية الامتلاك.

ويجدر التنويه بالجهود السابقة في ميدان دراسة الأسلوب في القرآن الكريم في الدراسات أو البحوث الجامعية.

• الإشكالية:

إن التطرق لهذا الموضوع ومعالجته بالدراسة يوجب علينا طرح تساؤلات عدة ومنها: ما المقصود بالنص المعجز؟ وما هي الخصائص التي تميز بها الأسلوب القرآني؟ ما هي أبرز السمات الأسلوبية لسورة النازعات؟ وما هي المستويات التي تتجلى فيها هذه السمات؟ ومما جعلنا نختار عنوان بحثنا الموسوم بـ "جماليات الأسلوب في النص المعجز" هو أن الموضوع شيق، كذلك للدراسة الأسلوبية لسورة النازعات، فالقرآن الكريم كنز لا يفنى ورغم الدراسات التي أجريت فيه بمختلف توجهاتها، إلا أن الغوص لا يزال مستمرا ممكنا في أساليبه للكشف عن هذا الجمال المعجز الخفي.

ولدراسة هذا البحث اعتمدنا المنهج التحليلي، واخترنا الأسلوبية طريقة من خلال دراسة سورة النازعات عبر مختلف المستويات التي تعنى بها الدراسة الأسلوبية. وبما أن النص المدرس هو نص إلهي فعليا فتجاوز طرف من خطة عملية الاتصال التي تبدأ بالمرسل،

مرورا بالرسالة وانتهاء بالمتلقي، وستجاوز الطرف الأول تنزيها لله تعالى، فلا يعلم ما هو إلا هو ويكون تركيزنا على النص وما يثيره في نفس المتلقي.

وقد أفضى الأمر إلى المنهجية والخطة الميدانية الآتية:

الفصل الأول: قراءة في مصطلحات البحث (بتحرير مفردات العنوان) والذي قمنا فيه بتعريف النص وتعريف الإعجاز كما عرفنا الأسلوب وتحدثنا عن خصائصه عامة، بعدها عرفنا القرآن الكريم وتحدثنا عن خصائص الأسلوب في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: تناولنا فيه مجمل ما ورد في سورة النازعات تليها الدراسة الأسلوبية لسورة النازعات لنبدأ في التطرق للسمات الأسلوبية للسورة الكريمة من خلال دراستها عبر أربعة مستويات وهي: المستوى الصوتي والمستوى الانفرادي والمستوى التركيبي والمستوى الدلالي بالإضافة إلى تطرقنا إلى مرجعيات النص والتكرار في الفاصلة القرآنية.

لننهى بحثنا المتواضع بخاتمة جاءت على شكل نتائج موجزة تلخص أهم ما تم التوصل إليه في هذه الدراسة.

ثم أفردنا لها فهرسا للمصادر والمراجع.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه لم تواجهنا أن نشير إلى أنه لم تواجهنا أي صعوبة ذات بال حتى نذكرها، إلا ما يواجهه أي باحث علمي في طريق البحث وجمع المعلومات والمراجع والسهرة وتحمل المشاق من قراءة وتفكير ومراجعة ودراسة وكتابة وغيرها.

أما عن أهم المراجع المعتمدة في إنجاز هذا البحث نذكر منها :

- كتاب: دراسات في علوم القرآن لأمير عبد العزيز والذي تحدث فيه عن الكثير من الحقائق والعلوم التي تتعلق بالكتاب الحكيم.

- كتاب أساس البلاغة للزمخشري ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

كتاب عبد السلام المسدي الأسلوب والأسلوبية.

- وقد أفادتنا هذه الكتب كثيرا خاصة من حيث الوقوف على جماليات اللغة والأسلوب في الأداء البلاغي في القرآن الكريم.

- وفي الأخير نشكر كل من قدم لنا يد المساعدة والعون وعلى رأس هؤلاء الأستاذ: عايدي طاهر الذي تكرم بإشرافه على هذا البحث المتواضع ولم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته التي أنارت لنا الطريق وذللت لنا الصعاب بداية من العنوان إلى نهاية بحثنا فله منا الشكر والامتنان كله.

الفصل الأول

قراءة في مصطلحات البحث

- 1- تعريف النص.
- 2- التعريف الحدائي للنص.
- 3- تعريف الإعجاز.
- 4- تعريف الأسلوب.
- 5- خصائص الأسلوب.
- 6- تعريف القرآن الكريم.
- 7- خصائص الأسلوب في القرآن الكريم.

1- تعريف النص:

1-1 لغة:

النص "رفعك الشيء، ونص الحديث، ينصه، نصا" رفعه، وكل ما أظهر فقد نص، وقال عمرو بن دينار المحدث: "ما رأيت رجلا أنص للحديث من الزهري"، أي: أرفع له، وأسند، وقال أبو عبيد: النص تحريك، والسير الشديد، والحث، وأصل النص: أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير السريع، والنص التوقيف، والنص التعيين على شيء ما، ونص الرجل نصا: إذا سأله عن شيء حتى يستقضي ما عنده، ونص كل شيء منتهاه، قال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، وفي حديث هرقل "ينصهم" أي يستخرج رأيهم ويظهره ومنه يقول الفقهاء: نص القرآن ونص السنة: أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام.¹

2-1 النص اصطلاحا:

في كلام الأصوليين: ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل ما لا يحتمل التأويل، وقيل هو ما زاد وضحا وعلى الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو تسوق الكلام لأجل المعنى²، وفي اصطلاح اللغويين والأدباء: الشكل اللغوي الثابت، ومنه: النص القرآني والشعري والنثري وقد ذكر التهانوي أن النص له معان متعددة منها:

أ- كل ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة ظاهرا أو نصا أو مفسرا، حقيقة أو مجازا عاما أو خاصا.

ب- النص: الظهور.

¹ محمد أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج7، ص98،97.

² الجرجاني، أبو الحسن الجرجاني، التعريفات، ص 237، نجم الدين الطويسى، مختصر شرح الروضة، مؤسسة الرسالة،

1987م، ج1، ص 553.

ج- ملا يتطرق إليه احتمال أصلا.

د- ما لا يتطرق إليه احتمال مقبول يعضده دليل.

هـ- الكتاب والسنة أي ما يقابل الإجماع والقياس.¹

2- التعريف الحدائي للنص:

والمقصود بالتعريف الحدائي للنص هو تعريف النص وفق مآثور النقد الفرنسي الجديد، وأعلامه البارزين ومن هؤلاء الأعلام تودوروف وبارت وكريستيفا.

"يقول تودوروف مستهلا مقالته عن (النص) في مؤلفه: (القاموس الموسوعي لعلوم اللغة) تجد الألسنية بحثها بدراسة (الجملة)... ولكن مفهوم النص لا يقف على المستوى نفسه الذي يقف عليه مفهوم الجملة، أو القضية، أو التركيب، وكذلك هو متميز عن الفقرة التي هي وحدة منظمة من عدة جمل.

ثم يقول: (النص) يمكن أن يكون جملة، ما يمكن أن يكون كتابا بكامله وإن تعريف النص يقوم على أساس استقلاليته وانغلاقيته، وهما الخاصتان اللتان تميزانه، فهو يؤلف نظاما خاصا به، لا يجوز تسويته مع النظام الذي يتم به تركيب الجمل، ولكن أن نضعه في علاقة معه، هي علاقة اقتران، وتشابه".²

ثم يضيف (النص) نظام جاف، أو تضميني، وذلك لأنه نظام ثان بالنسبة إلى نظام أساسي للدلالة، فنحن حين نحلل (الجملة) نميز بين مقومات صوتية، وتركيبية ودلالية، وكذلك نحن نميز مثلها في (النص) دون أن تكون من نفس المستوى - أي لا يكون لهذه المقومات المختلفة نفس القيمة في تحليل النص، إذ أنها سيترتب عنها أنماط من التحليلات متباينة.

¹ محمد عكاشة، تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، ط1، 2014م، ص 12.

² عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000م، ص 15.

فهناك بالنسبة إلى (النص) مظاهر، أو وجوه صوتية وتركيبية ودلالية ولكل مظهر منها إشكاليته، إذ هو يؤسس أحد الأنماط الكبرى التي تحلل النص: تحليل بلاغي، أو سردي أو معلوماتي ...

في حين نجد فيه (المظهر اللفظي)، وهو مؤلف من العناصر الصوتية والقاعدية التي تؤلف جمل النص¹.

ونجد (المظهر التركيبي)، والذي يمكن تبينه ليس بالرجوع إلى قواعد تأليف الجمل، وإنما بالرجوع إلى العلاقات التي بين الوحدات النصية، أي الجمل ومجموعات الجمل. وهناك أخيرا (المظهر الدلالي)، والذي هو نتاج معقد للمضمون الدلالي التي توحى به هذه العناصر والوحدات.

ثم يتحدث تودوروف، بالنسبة إلى المظهر اللفظي، عن (تحليل الخطاب) عند هاريس ومريديه، ثم يتحدث بالنسبة إلى المظهر الدلالي عن (تحليل القضايا) عند ديبوا... ثم يقول أنه ظهر في الفترة الحديثة في فرنسا باحثون يمارسون (تحليل النص) من (منظور علامي)، مثل كريستيفا، وبارث وغيرهما، يحاولون بذلك إنضاج نظرية خاصة للنص ... حيث يأخذ عندهم مفهوم النص معنى خاصا.

ولا يعود ينطبق على مجموعة منظمة من الجمل ثم في نهاية قاموسه، ينشر تودوروف مقاليتين لفرانسوا فال عن آراء كريستيفا في ذلك².

2-1 بارث:

قدم بارث تعريفا عاما للنص في مقالة تعود إلى أوائل الستينات والتي تضمنت (نظرية النص)، وهذا التعريف يعكس المفهوم التقليدي للنص فشرحه، ثم أثر عليه تعريف جوليا كريستيفا والذي تذهب فيه إلى إظهار تولدية النص.

¹ عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، مرجع سابق، ص 16.

² المرجع نفسه، ص 16.

في أوائل السبعينات عاد (بارث) إلى وجهة نظره، فتوسع فيها في مقال بعنوان: (من النص إلى العمل) ونلاحظ أن جهوده في علم العلامات واهتماماته بعلامية الأدب دلت عنده الأخذ بالاعتبار الكريستيفي.

أ- تعريف أول لبارث:

انطلق بارت في تعريفه الأول من الدلالة الاشتقاقية لمصطلح (تكست)، أي النص فقال: "(النص) نسيج كلمات منسقة في تأليف معين، بحيث هو يفرض شكلا يكون على قدر المستطاع ثابتا ووحيد" ثم يشرح ذلك، فيقول: "إن (النص) من حيث أنه نسيج فهو مرتبط بالكتابة، وبشاطر التأليف المنجز به هالته الروحية، وذلك لأنه بصفته رسما بالحروف فهو إحياء بالكلام، وأيضا بتشابك النسيج"¹.

إذن النص في مفهومه العام والذي يقول عنه بارت أنه تقليدي، هو (نسيج) كلمات منسقة وهذا هو التعريف الأول للنص، ولكن هناك تعريف آخر له، قدمه بارت متبنيا لآراء جوليا كريستيفيا.

ب- تعريف ثان لبارث:

في هذا التعريف توسع (بارث) حيث صار يتعاطف مع مبادئ التفكيكية كما حدد موقفه من البنيوية وقد اختزل في نقاط أساسية وهي:

- 1- (النص) مجرد نشاط في مقابل العمل الأدبي المتمثل في شيء محدد وإذا وضع (المؤلف) فيه فهو مجرد وضع احتكاك .
- 2- (النص) يمارس التأجيل الدائم، واختلاف الدلالة فهو مثل اللغة (مبني) ولكنه ليس مغلقا ولا متمركزا بل هو لا نهائي.

¹ عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، مرجع سابق، ص 17.

3- (النص) مفتوح، والقارئ المتلقي ينتجه في عملية دلالية واحدة، بحيث تكون ممارسة القراءة إسهاما في التأليف.

4- من هنا يكون النص: فعالية كتابية، ينطوي تحتها كل من المؤلف الباحث والقارئ المتلقي ونتيجة التواصل والمشاركة بينهما يكون النص جزءا من كلام مموضع في منظور كلامي معين¹.

2-2 كريستيفا:

تحدثت جوليا كريستيفا الأدبية وعالمة اللسانيات والفيلسوفة في مقالها - النص المغلق - عن إيديولوجية الرواية بمعنى وحدتها ووظيفة التداخل النصي فيها وقد حلت ما يتعلق بهذه الوظيفة فبدأت التحليل بتعريف النص فقالت:

"بما أن السيميائيات ليست فقط خطابا، فإنها تتخذ كموضوع لها ممارسات سيميائية عديدة تعبرها (عبر لسانية) أي متكونة من خلال اللسان، ولكن غير قابلة لأن تختزل في المقولات التي تلتصق به في أيامنا هذه ...

من هذا المنظور، نحن نحدد (النص) " كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلية بهدف الإخبار المباشر، وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المترامنة معه فالنص إذن (إنتاجية) وهو ما يعني:

أ- أن علاقته باللسان الذي يتموضع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادقة/ بناءة)، وبذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية، لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

ب- أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي ففي فضاء (نص) معين تتقاطع وتتفاى ملفوظات عديدة، مقتطعة من نصوص أخرى"².

¹ عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، مرجع سابق، ص 17.

² المرجع نفسه، 18، 19.

- هذا هو تعريف كريستيفيا للنص مع الشرح والمقصود من تعريفها أن (النص) هو أكثر من خطاب، لأنه يفيد توزيع نظام اللغة كاشفا عن العلاقة بين كلمات الأخبار المباشرة فيه، وبين الملفوظات السابقة عليه.

- إن علاقة (النص) باللغة قبل إعادة توزيع نظامها تفكيك ثم إعادة بناء، وهذا ما يجعله صالحا للمعالجة بمقولات منطقية أكثر من صلاحية المقولات الألسنية.

فالنص عملية إنتاجية، أي هو نشاط توالدي، بحيث تكون مقوماته اللغوية محل قياس بعد أن كانت مقاسة على النظام اللغوي الإيصالي.

3- الإعجاز في اللغة والاصطلاح:

3-1 الإعجاز لغة:

مصدر مزيد فيه من (عجز) إذا لم يستطع إمرا، ضد (قدر) إذا تمكن منه يقال: أعجزه الأمر، إذا حاول القيام به فلم تسعه قدرته، وأعجزت فلانا: إذا وجدته عاجزا أو جعلته عاجزا.¹

3-2 اصطلاحا: هو مصطلح يطلق على كل أمر خارق للعادة، إذا قرن بالتحدي وسلم من المعارضة، يظهره الله على يد أنبيائه لكون دليلا على صدق رسالتهم.²

- الإعجاز من المعجزة، وهي الخروج عن المألوف في سنن الحياة والكون مع الاقتران بالتحدي لبشر وعدم المعارضة من أحد.

ونفرغ الآن لبيان هذا التعريف لنقول إن المعجزة تأتي خارقة للعادة مما هو مألوف في نظام الحياة والكون إنما يسير وفق نظام متسق وموزون، وهو نظام دقيق ومحكم يجري كل شيء فيه على غاية من الترتيب والاطراد من غير خلل أو نشاز وتخلف، وتلك هي السنة

¹ محمد هادي معرفة، تلخيص التمهيد، ج2، ص 11.

² المصدر نفسه، ص 12.

المقدورة المركوزة التي ذراها الله فيما خلق من كائنات وأشياء. إنها السنة الماضية السائرة منذ فجر الخليقة والوجود إلا أن تتوقف حركة الحياة أو تتبدد.

وأي خروج على هذه السنة السائرة لهو ضرب من ضروب المعجزة التي قد تقع على جزء من أجزاء هذا الوجود الواسع المتحرك المنظم.

- وتتحقق المعجزة فوق خروجها عن المؤلف بأن تأتي مقترنة بالتحدي للآخرين لكي يستبين عجزهم عن المحاكاة، وذلك من باب التأكيد على صدق المعجزة وحقيقة شأنها إذ يتحدى صاحبها من حوله من الجنة أو الناس ليعلموا أنهم ليسوا قادرين على المجارة لما هو قائم يتحدى¹.

وكذلك فإن عدم المعارضة من أحد تحقيق مؤكد وحاسم لصدق المعجزة كي تستيقن النفوس وتعي الأذهان، وقد تتكرر محاولات من نفر من الناس غرورا ليجهدوا أنفسهم في المجارة فيظنون يصطنعون الأقوال أو الأفعال فيما يحسبونه تحديا لكنه في ميزان الحقيقة والواقع ضرب من أضرب التوهيم الفاسد الذي تفرزه حناجر الكذابين المفترين في كل زمان ومكان.

والمعجزة ضربان: حسية وعقلية.

أما الحسية فهي ما كان خرق العادة فيها مما يدرك بالحس والعيان² كأن يكون ذلك من طريق السمع والبصر أو نحوهما.

وأما العقلية فهي ما كانت بمثابة خطاب لعقل الإنسان وذلك يعني أن هذا النوع من المعجزة إنما يدرك عن طريق العقل وهو يتلقى أخبارا في الإعجاز حول قضية من القضايا التي لا تذهب بذهاب الزمان.

¹ أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب، -عمار قرفي- باتنة، ط2، 1988م، ص 116.

² المرجع نفسه، ص 116.

ومما يلاحظ أن معجزات النبيين الذين سبقوا خاتمهم محمدا ﷺ كان جلها حسيا، فهي معجزات كتبها الله لأنبيائه تبعا لطبيعة الأوضاع النفسية والذهنية والعرفية التي تكون عليها الأمم والشعوب في مراحلها الطويلة، ونخص بالذات بني إسرائيل فقد كان غالب معجزاتهم فيما نعلم في دائرة الحس الذي يتحقق بالمشاهدة والمعاناة من غير تعويل على الذهن الذي يدرك ويتحقق ثم يعي ويستيقن. ومن أمثلة ذلك انفلاق البحر بعد أن يضرب بالعصا، والقاء العصا أرضا لتصبح حية كبيرة مخوفة تسعى، وانشقاق البحر لتكون في وسطه اثنتا عشرة طريقا يمر منها قوم موسى هربا من فرعون، وانحباس الماء كعيون دافقة ثجاجة من الحجر الأصم بعد أن يضربه موسى ﷺ بالعصا، ثم إنزال المائدة من السماء على بني إسرائيل استجابة لدعاء عيسى المسيح ﷺ لكي يأكل منها القوم عسى أن يتثبتوا وتطمئن قلوبهم بالإيمان، وغير ذلك من أنواع المعجزات الحسية الكثيرة مما كتبه الله لأنبيائه لكي يؤمن الناس ويعلموا أن ما جاءهم به النبيون حق وهي معجزات غير محتاجة لكبير مجهود من الذهن أو إعمال العقل، وفي ذلك إيماء واضحة على انحطاط في مستوى العقل والتفكير لدى تلك الأمم التي لا تصيغ إلا لخطاب الحس والمشاهدة، أو التي قليلا ما تعبأ لخطاب العقل من الإعجاز الرفيع الراقى.

وذلك الذي يذكرنا بمعجزة الرسول محمد ﷺ الذي أوتي القرآن خير المعجزات وأعظمها جميعا، وهو كذلك أبقاها وأدومها¹، إنها المعجزة التي تظل مستديمة خالدة لا يأتي عليها الزمان ولا يؤثر فيها اختلاف الأحوال وتبدل الأجيال مهما امتد الدهر وطال، يقول النبي ﷺ في ذلك:

¹ أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 117 .

«ما من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا»، وذلك يعني أن كلا من الأنبياء السابقين قد أوتي من المعجزات ما يحمل قومه على التصديق والتيقن غير أن تلك المعجزات انقضت بانقراض أصحابها وزمانهم، فهي معجزات حسية مشهودة عمادها الزمان المتعين وأساسها القوم الذي لا يركن إلا في المشاهد المنظور، فإذا ذهب الزمان والقوم ذهبت بذهابهم المعجزات، أما معجزة القرآن وهي التي تدرك طريق البصيرة والفطرة البشرية فإنها باقية ما بقيت الدنيا وما بقي الزمان، وحقيقة ذلك أن القرآن بما يحويه من معاني الخير والفضيلة ومن ضروب الفقه والتشريع ومن حقائق العقيدة والعبادة ومن روعة اللفظ ومتانة الأسلوب ومن روعة التعبير والكلمة ومن عذوبة النظم وتزاحم المعاني أن القرآن بكل ذلك لهو معجزة لا تبرح الأرض ولا تغيب شمسها عن هذه الدنيا، فهي معجزة خالدة تظل مركوزة في ضمير الإنسان وفي ضمير الزمان¹.

والمقصود في بحثنا هذا بالنص المعجز هو القرآن الكريم الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ.

4- تعريف الأسلوب:

4-1 لغة:

تعد كلمة أسلوب من الكلمات القديمة في اللغة العربية وقد وردت كثيرا في كلام العرب وذكرت في مصنفاتها اللغوية والمعجمية، وقد ذكرها البلاغيون المحدثون في أطروحاتهم البلاغية كما اختلفت التعريفات للأسلوب وتتنوعت فالأسلوب في اللغة ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة سلب "يقال للسطر من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب والجمع أساليب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب يقال أنتم في أسلوب سواء والجمع

¹ أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 118.

أساليب والأسلوب الطريق تأخذ فيه والأسلوب بالضم الفن يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه¹.

ويقول الزمخشري "سلكت أسلوب فلان: أي طريقته وكلامه على أساليب حسنة"².

ويقال للمتكبر (أنفه في أسلوب: إذا لم يلتف يمناً ولا يسرة....)³.

وقد عرفه عبد القاهر الجرجاني بأنه "ضرب من النظم والطريقة فيه فيعتمد شاعر لآخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره"⁴.

أما عند حازم القرطاجني فإن مصطلح الأسلوب يطلق على التناسب في التأليفات المعنوية" فيمثل صورة الحركة الإيقاعية للمعاني في كيفية استمرارها، وما في ذلك من حسن الإطراء والتناسب والتلطف في الانتقال من جهة إلى جهة والسيرورة من مقصد إلى مقصد"⁵. كما أن حازم يجعل الأسلوب منصب على الأمور المعنوية (التناسب فيها) وجعله في مقابل النظم الذي هو منصب على التأليفات اللفظية، وهذا بخلاف نظرة عبد القاهر الجرجاني حيث جعل النظم شاملاً لما يتعلق بالألفاظ والمعاني⁶.

وعرفه ابن خلدون بأنه "المنوال التي تتسج فيه التراكيب أو القالب الذي تفرغ فيه"⁷

والذي يلفت الانتباه في تعريفات هؤلاء العلماء أن كل واحد منهم نظر إلى الأسلوب من زاوية معينة، فهو عند ابن خلدون مختص بصورة الألفاظ، وعند حازم القرطاجني مختص بصورة المعاني، أما عند عبد القاهر المرجاني فمفهوم الأسلوب يختص بالصورتين اللفظية

¹ محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج1، ص 473.

² جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ص 305.

³ المرجع نفسه، ص 386.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، - قراءة وتعليق - محمود شاكر، مكتبة العائدي، ط5، 2004، ص 469.

⁵ إبراهيم الخليل، النص الأدبي تحليله وبنائه، مدخل إجرائي، دار الكرمل، عمان، ط1، 1995م، ص 227.

⁶ حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، الدار العربية للكتاب، 2008م، ص 364.

⁷ عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، المقدمة، بيروت 1900م ص 570.

والمعنوية معا، كما تحدث عنه الجاحظ حينما قال: "عن النظم بمعنى اختيار اللفظة المفردة اختيارا موسيقيا يقوم على سلامة جرسها واختيارا معجميا يقوم على ألفتها واختيارا إيحائيا يقوم على الظلال التي يمكن أن يتركها استعمال الكلمة في النفس وكذلك حسن التناسق بين الكلمات المتجاورة تأليفا وتناسبا"¹.

كما ربط ابن قتيبة عنه: "الأسلوب وطرق أداء المعنى في نسق مختلف، بحيث يكون لكل مقال مقام فطبيعة الموضوع ومقدرة المتكلم واختلاف الموقف تؤثر في تعدد الأساليب"². وعرفه د. منذر العياشي (الأسلوب حدث يمكن ملاحظته: إنه لساني لأن اللغة أداة بيانه وهو نفسي لأن الأثر غاية حدوثه، وهو اجتماعي لأن الآخر ضرورة وجوده) ويعد هذا التعريف أشمل من تعريف ريفتاتير ميشال (وهو أحد الذين طوروا هذا المنظر التعريفي وكشف له عن سبل اختيارية دنت به من الموضوعية العلمانية حيث يحدد الأسلوب اعتمادا على أثر الكلام في المتلقي)³.

ويقول جوهن (الأسلوب هو كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مطابقا للمعيار العام المؤلف... إنه انرياح بالنسبة إلى معيار أي أنه خطأ ولكنه مقصود)⁴.

وقدم فيلي سانديرس (في كتابه نحو نظرية أسلوبية لسانية) تعريفات للأسلوب تقارب الثلاثين تعريف⁵، بداية من تعريف بوفون (الأسلوب هو الشخص نفسه)⁶ وهذا التعريف يلتقي مع

¹ يوسف العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع ط2، 2010م، ص11.

² المرجع نفسه، ص12.

³ عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، 1982م، ص 83.

⁴ جان كوهن، بنية اللغة الشعرية- تر محمد الوالي ومحمد العمري- دار تريفال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1996م، ص15.

⁵ فيلي سندريس، نحو نظرية لسانية أسلوبية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003م.

⁶ المرجع نفسه، ص 29.

بعض التعريفات وتعريف سوفينسكي (المبني على استعمال بدلائل لغوية مناسبة ومحددة لاستعمال متواتر لأغراض تعبيرية محددة)¹

ويمكن أن نضيف إلى تعريف بوفون تعاريف أخرى هي ارث الماضي، وعطاء الإنسانية فالأسلوب (الطريقة في الكتابة) وهو (طريقة في الكتابة لكاتب من الكتاب) وهو طريقة في الكتابة لجنس من الأجناس وهو (طريق في كتابة لعصر من العصور)².

4-2 الأسلوب في الاصطلاح:

الأسلوب في اصطلاح الأدباء هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته.

وتختلف أساليب المتكلمين بعضهم عن بعض بل تختلف الأساليب عند الشخص الواحد؛ لأن كل واحد منهم له طريقة في اختيار الألفاظ وتأليفها ليعبر عن المعنى الذي يريده قاصدا الإيضاح والتأثير، ولا عجب في أن يكون للأسلوب القرآني طريقة خاصة ينفرد بها وقد تواضع العلماء قديما وحديثا على أن للقرآن أسلوبا مغايرا لأساليب العرب.

5- خصائص الأسلوب:

تعرفنا سابقا على تعريف الأسلوب وقد تحدث عنه علي الجارم في كتابه البلاغة الواضحة بقوله "هو المعنى المصوغ في ألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام"³.

وقبل الحديث عن خصائص الأسلوب لا بد أن نتطرق إلى أنواعه فالأسلوب ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أسلوب علمي وأسلوب أدبي وأسلوب خطابي.

¹ فيلي سندريس، نحو نظرية لسانية أسلوبية، مرجع سابق، ص 46.

² منذر عياشي، الأسلوب وتحليل الخطاب، مركز الإنماء، ط1، 2001م، ص33.

³ علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبة البشري، ط1، 2010، ص 13.

1-5 الأسلوب العلمي: هو أهدأ الأساليب وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكر المستقيم، كما أنه بعيد عن الخيال الشعري، لأنه يخاطب العقل ويشرح الحقائق العلمية الخالية من الغموض.

أ- هم مميزات الأسلوب العلمي:

من أهم مميزات الأسلوب العلمي:

- الوضوح فيجب أن يعنى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها.
- يمتاز بالدقة والترتيب المنطقي.
- استخدام الأدلة والبراهين، والبعد عن المبالغة.
- الابتعاد عن الخيال والعاطفة.
- يشتمل على مصطلحات علمية كثيرة متصلة بالموضوع الذي يتناوله وينقسم الأسلوب العلمي إلى قسمين"

ب- أسلوب علمي بحت: وهو الذي يعنى بعرض الحقائق العلمية دون انصراف إلى جمال اللفظ وأناقة التعبير.

ج- أسلوب علمي متأدب: وهو الذي يعرض الحقائق العلمية في ألفاظ مختارة وأنيقة.

2-5 الأسلوب الأدبي:

من أبرز صفاته:

- الجمال، لما فيه من خيال رائع، وتصوير دقيق.
- يثير عاطفة السامع أو القارئ ويؤثر في نفسه.
- يمتاز باختيار الألفاظ والتأثير فيها.
- استعمال الصور البيانية بكثرة كالتشبيه والاستعارة والكناية..

- استعمال المحسنات البديعية التي تضفي نغما موسيقيا على العبارة لتصور الإحساس وتهز المشاعر.

3-5 الأسلوب الخطابي:

في هذا الأسلوب تبرز قوة المعاني والألفاظ وفيه يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه، لإثارة عزائمهم واستنهاض هممهم وهما يزيد في تأثير هذا الأسلوب منزلة الخطيب في نفوس سامعيه¹.

أ - أهم مميزات الأسلوب الخطابي:

- يتميز هذا الأسلوب بالتكرار وذلك لترسيخ الفكرة في ذهن السامع، استعمال المترادفات، وضرب الأمثال لإقناعهم وإثبات صحة كلامه.
- اختيار الكلمات الجزلة، ذات الرنين.
- تعاقب ضروب التعبير من نداء إلى إخبار إلى استفهام إلى تعجب.
- من خلال هذه العناصر نستنتج أن الأسلوب ينقسم إلى أنواع ولكل نوع مميزاته الخاصة وقد ذكرتها بإيجاز واختصار².

6- تعريف القرآن الكريم:

1-6 تعريفه في اللغة واشتقاقه:

اختلف أهل العلم والبيان في تعريف القرآن من حيث اللغة والاشتقاق، فذهب بعضهم ومنهم اللحياني إلى أنه مصدر مرادف للقراءة، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿لَنْ نَرَاكُمْ عَطَّرِينَ﴾³

وق فرعوناً ذموا ﴿٥٧﴾ - رأوا - ففصيح مرادف له و ﴿١٨﴾ [سورة القيامة، الآية: 17-18].

¹ ينظر: تعريف الأسلوب mawdoo3.com، بواسطة سميحة ناصر خليف، آخر تحديث: 10:28، 14 يناير 2016.

² ينظر نفس الموقع السابق.

وبذلك فإن القرآن مهموز أصلاً فهو يقرأ بالهمز، وذهب آخرون إلى أنه مأخوذ من القرء بفتح القاف وهو يعني الجمع، كأن نقول: قرأ الماء في الحوض أي جمعه فيه ومنه كلمة القرية وهي الموضع من الأرض الذي يجتمع فيه فريق من الناس، وقيل إنه مشتق من الاقتران لأن آياته وسوره مقترن بعضها ببعض اقتراناً وثيقاً يتجلى فيه التماسك والتلاحم.

وعلى هذا التعريف فإن القرآن يكون غير مهموز فيقرأ بقولنا: "القرآن" وهو كما بينا من الاقتران، وقيل من القرائن ومع ذلك كله فإن القول الراجح هو الأول، وهوان القرآن مهموز وهو مشتق من الفعل قرأ، وذلك استناداً إلى الدليل من الآية القرآنية التي بينها.

وقد سمي القرآن بجملة أسماء أخرى يحمل كل منها معناه، منها الفرقان باعتبار الكلام الذي يفرق بين الحق والباطل، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَلِكٌ أَلَدَىٰ ذَا عَرْشٍ نُّزُوقٌ - مَنْ عَلَىٰ عَرْشِهِ

لِيَكُونَ لِلَّهِ عِلْمٌ - حِينَ ذَا ذِيْرًا ﴿٥١﴾ [سورة الفرقان، الآية: 01]. والكتاب، وهو الكلام المكتوب بين دفتي

المصحف وفيه يقول عز من قائل: ﴿الرَّسْمِ ﴿٥١﴾ - ذَلِكَ لِأَلَّا يَتَّبِعْتُمْ فِيهِ هَوَىٰ لِيُذَمِّعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٢﴾

[سورة البقرة، الآية: 01-02].¹ والذكر، وهو يعني العلاء والشرف وفي ذلك يقول القرآن ﴿وهذا

ذِكْرٌ مَّبْلُوكٌ أَنْ نَزَلَ مِنْ غَیْهِ ﴿سورة : الأنبياء، الآية: 50﴾.

والتنزيل، وفعله "نزل" بالتشديد أي أنزله منجماً تبعاً للمناسبات والأحوال.

يقول القرآن في ذلك: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ [سورة: فصلت، الآية: 42]. وهناك

أسماء أخرى كثيرة لا داعي لذكرها لاختلاطها الشديد بمعنى الوصف للقرآن الكريم لا الاسم الذي يرادف الأصل المقصود.²

¹ أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 09.

² المرجع نفسه، ص 10.

6-2 تعريفه في الاصطلاح:

لعل التعريف السليم الشامل للقرآن الذي يرد على نحو جامع ومانع هو "كلام الله المعجز المنزل على النبي محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته". وهذا التعريف يتسم بالدقة والشمول بحيث يتناول كل حقيقة لمفهوم الكتاب الحكيم.

ومن خلال هذا التعريف يتبين أن القرآن كلام الله فهو بذلك معجز يعز على الناس والملائكة والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، فهو في مستواه اللغوي والمعنوي وفي روعته التي تأخذ الأسماع والقلوب، كان على غير ما عرفه البشر من كلام.

وهو كذلك قد نزل على النبي الأمي محمد ﷺ على نحوين: أولهما أنه قد أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وذلك في القديم الذي لا يعرف مداه أو امتداده إلا الله. وثانيهما أنه قد تنزل من السماء الدنيا إلى الأرض على النبي الكريم عليه الصلاة والسلام. على أن تنزيله هذه المرة كان تنجيما تنتزل منه الآية أو الجملة أو السورة القصيرة أو الطويلة أو بعض السورة كما يقتضي الموقف أو الظرف أو المناسبة.

ومن تعريف القرآن كذلك أنه مكتوب، فقد كان مسطورا بين دفتي المصحف وكيفية ذلك أنه كلما نزلت منه آية أو بضع آيات أو سورة أو بعض سورة كانت تسطر فيما كان يتيسر من وسائل الكتابة كالرقاع أو اللخاف أو الجلد، يقول القرآن في مثل ﴿وَأَلْطُورِ ۝١﴾ و﴿كِتَابٍ مَّطُورٍ ۝٢﴾ في سرقٍ مَشُورٍ ﴿٣﴾ [سورة الطور، الآية: 01-03] .

ويعرف القرآن أيضا بأنه منقول بالتواتر، وهو أن يدركه ويعيه جم غفير من المؤمنين الذين لا يعقل أن يتواطأوا على الكذب ولا يخلص لإدراكهم ووعيهم شيء من الشك لينقلوه إلى خلق كثير من الناس بعدهم ثم الذين يلونهم وهكذا.¹

¹ أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 10، 11.

فقد تناقل المسلمون كتاب الله حفظاً في الصدور وتسجيلاً في القراطيس والكتب تنقله كل أمة في زمانها إلى الأمة التي تليها، وتلك طريقة مطلقة الكمال من حيث الائتمان والتوثيق ومن حيث اليقين والقطع بأن هذا الكلام جاء خالصاً سليماً من الريبة وكل مظهر من مظاهر النقص أو التزديد.

والقرآن كذلك متعبد بتلاوة، أي أن المؤمن يعبد الله بمجرد تلاوته فإن تلاوته نفسها ضرب من ضروب العبادة يتقرب بواسطتها المسلم إلى الله فيكتب له الخير والفضل والمثوبة، حتى إن أي كلام آخر غير هذا الكلام لا يتعبد بتلاوته وإنما يتعبد بالاستفادة من معناه.¹

7- الأسلوب في القرآن الكريم:

يعد الأسلوب في القرآن الكريم أرقى أساليب لغة العرب لأنه تميز بصفات جعلته عجباً وغريباً وقد أعتبر معجزة حقيقة لاحتوائه على أدق وأوضح المعاني، ثم إن العقل البشري لا يستطيع أن يدركه ولا أن يقف عليه وعلى أسرارهِ ولا الإتيان بمثله لأن قدرة العقل لا تستطيع أن تبلغ ما بلغه القرآن وهو التأثير في النفوس.

كما نجد بأن عبد القاهر الجرجاني أظهر ذلك جلياً من خلال تصفح كتابته "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" ونجد هذه الفكرة في قوله: « قلت في إعجاز القرآن الكريم شيئاً آخر ذهب عنه الناس وذلك ضيعة في القلوب وتأثير في النفوس... تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور »².

¹ أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 11.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاعر الخانجي، القاهرة، د.ط، 1989م، ص 58.

كما يحتوي القرآن الكريم على أساليب إعجازية انفرد بها على العلوم الأخرى وقد تميزت هذه الأساليب بمجموعة من الخصائص الفنية والسمات البلاغية التي جعلته يؤثر في النفوس السوية والجامعة كذلك.

ومن الخصائص التي تميز بها القرآن الكريم عن الكتب السماوية الأخرى:

1-7 جمالية التعبير:

القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وقد احتوى على أعذب الألفاظ العربية وأفصحها وأبلغها، مما تعرفه العرب وتداولته بينها، ولم يخرج من كل ذلك عن سننهم في الكلام لا لفظاً ولا معنى لا إفراداً ولا تركيباً، ومع ذلك وإن كانت تلك الألفاظ معهودة عندهم واستعملوها بينهم وجاءت على السنة شعرائهم؛ إلا أن القرآن الكريم قد فاق وعلا جميع كلامهم وتحداهم بأقصر سورة منه رغم كونهم من أرباب الفصاحة والبيان، وما ذاك إلا لحسن سبكه وجودة رصفه وروعة تأليفه. قال الرماني: « فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام»¹.

فالقرآن الكريم انفرد بطريقة سوية قوينة في تجلية المعاني وتأدية الدلالات، وإبراز ذلك في قوالب لفظية لغوية لا اختلاف بينها ولا تباين، فلا ترى تنافر بين عباراتها ولا بين حروفها، وبهذا كان القرآن وسيقى أبداً هو الكتاب الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبها، ولا تبلى جدته، ولا يمله قارئوه ولا سامعوه.

فأنت حين تقرأ أي مقطع من القرآن تجد أن الألفاظ فيه متعانقة منسجمة متماسكة يأخذ بعضها بأعناق بعض، إما سلسلة رقيقة عذبة متجانسة أو فخمة جزلة متألفة، فتراها

¹ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1974م، ج4، ص 18.

متأخية متجاوزة متجاوبة إيقاعا وجرسا، ومنسجمة دلالة ومعنى على أفضل مستوى يمكن للبشر أن يتصوره .

فذاك هو النظم المعجز حيث يستحيل عليك أن تستغني فيه عن كلمة منه دون إخلال بالمعنى المقصود في أي آية منه، فكل كلمة في مكانها لا يمكن استبدالها بغيرها، فلو استبعدناها لم نقدر أن نضع مكانها أخرى تقوم مقامها وتؤدي وظيفتها، فكل لفظة لها دلالاتها في تركيبها ومكانها لا تؤديه غيرها، فمهما رددت النظر وكررت التلاوة فلن نقف على زيادة فيه أو نقص أو ترادف في الكلمات.

يقول الزرقاني: « ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي وذاك النظام الصوتي أنهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية كانا سورا منيعا لحفظ القرآن من ناحية أخرى، وذلك أن من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع ويثير الانتباه ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن الكريم، وبذلك يبقى أبد الدهر سائدا على ألسنة الخلق وفي آذانهم ويعرف بذاته ومزاياه بينهم فلا يجرؤ أحد على تغييره وتبديله مصداقا لقوله سبحانه: ﴿لَا يَمَسُّهُ ذَرٌّ مِنْ لَدُنْكُمْ وَلَا مَوْلُودٌ وَلَا ضَالٌّ﴾ [سورة الحجر، الآية: 09] »¹.

ف «نظام القرآن الصوتي في ائتلاف حركاته وسكناته، ومداته وغناته، واتصالاته وسكناته، أمر يبهر العقول، ويسترعي الأسماع ويستهوئ النفوس، بصورة تختلف كل الاختلاف عما يجده المتذوق لكلام الناس من نسق وانسجام، فإنه مهما كان كلام البشر سهلا جزلا عذبا، فإنه لا يخلو من قصور في المعنى، أو ثقل في النطق، أو خلل في الترتيب»².

¹ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م، ج2، ص 313.

² محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن دار المنار، ط2، 1999م، ص331.

و«إن من ألقى سمعه إلى هذه المجموعة الصوتية الساذجة يشعر من نفسه ولو كان أعجميا لا يعرف العربية بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر لأن الموسيقى تتشابه أجراسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يملها والطبع أن يمجهها ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالبا وإن طالت على نمط يورث سامعه السأم والملل بينما سامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل لأنه ينتقل فيه دائما بين ألحان متنوعة وأنغام متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفتدة.

وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام سواء أكان مرسلا أم مسجوعا حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر لأنهم أدركوا في إيقاعه وترجييعه لذة وأخذتهم من لذة هذا الإيقاع والترجييع هزة لم يعرفوا شيئا قريبا منها إلا في الشعر ولكن سرعان ما عادوا على أنفسهم بالتخطئة فيما ظنوا¹.

فالقرآن الكريم رغم ما نراه من تكونه من هذه الحروف المتقطعة التي بدأ بها بعض السور إلا أنه جاء من مجموع تلك الألفاظ العربية بأفصحها وأيسرها في النطق على اللسان، وأسهلها في الإدراك على الأفهام، وأمتعها في السمع للآذان، وأقواها في التأثير على الأفتدة والجنان، وأوفاهها تأدية للمعاني في الإبلاغ والبيان، فقد ركبها تركيبا محكما في النظم والتأليف، لا يدانيه في نسجه أي كلام، وذلك لما في ألفاظه من الإحياءات والدلالات، وما في تركيبه من التناسق والتماسك والانسجام.

¹ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 310.

فالنغمة القرآنية ليست مجرد صوت منسجم، بل إن لها صلة بالمعاني، وتشارك النغمة في جلاء المعنى حسا وفكرا، حيث يأتي جرس ألفاظ القرآن ونغم سياقه مؤتلفا مع معانيه متعاضدا معها في أداء الإيحاءات والآثار النفسية والوجدانية تألفا دقيقا، ستظل المواهب الإنسانية تعجز عن بلوغه. وليس هذا فحسب، بل إن القرآن مع كل هذا تناول أمورا عديدة متفاوتة؛ من القصص إلى الوعظ، ثم إلى الحجاج، ومنه إلى الحكم والأحكام، وبعدها إلى الوعد والوعيد أو الحديث عن عالم الغيب والشهادة في نسق واحد داخل نفس التركيب في نفس السورة حتى تنتهي بهذا التناسق والانسجام العجيب، ولا ترى أثر التفكك ولا الاختلاف أو التناقض والتنافر.

كما أن الأسلوب القرآني نراه يورد الغرض الواحد بألفاظ متعددة وبطرق مختلفة، بما يدل على براعة تعبيره ودقته، ، ولا بأس أن نأخذ مثلا هنا بالأمر المفروضة من الله على عباده، فإنك تجد الأسلوب في الطلب يتغير ويتبدل من موضع لآخر، فتراه مرة يكون عن طريق الإتيان بصريح مادة الأمر، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ .
 أما من حيث أ - ﴿هَلِهَا﴾ [سورة النساء، الآية: 58] ومرة أخرى يسلك أسلوبا آخر بأن يأتي بالأمر عن طريق الإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين، مثل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ الَّذِينَ ظَمَوْا﴾ .

كَيْبَ عَط - يَعْطِيهِمْ - مَام - كَمَا كَيْبَ عَلَى الَّذِينَ قَبْلَهُمْ ل - عَطَ - عَمَّ تَدْعُونَ ﴿١٨٣﴾ [سورة البقرة، الآية: 183] . أو يكون الطلب بطريق وصف الفعل ذاته بالفرضية، مثل قوله تعالى: ﴿رَدِّدْ

عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا - عَطَ - هَمَّ فِي - أ - مَرُوحَهُمْ ﴿﴾ [سورة الأحزاب، الآية: 50] . أي من بذل بالمهور والنفقة.
 وتارة يكون عن طريق الإخبار بكونه على الناس؛ مثل قوله تعالى: ﴿يُولَدُ - عَلَى

لِنَأْسِ حَيْحَ لِيَمِتَ - مِنْ مَلَّتْ - طَاعَ إِلَيْهِ سَيِّلًا ﴿﴾ [سورة آل عمران، الآية: 97] . وفي أخرى تجده ينكر الشيء المفروض عن طريق الإخبار به، ليدل على أنه مطلوب منهم الإتيان به، مثل قوله

تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا مَثَلًا سَيِّئًا مِمَّا قَبْلَهُمْ قَدْ سَلَفَتْ قَوْمَهُمْ ثَمُودُ بِسَفْعِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 228] ، أي مطلوب منهم أن يتربصن. أو يأتي - أيضا - عن طريق الإخبار بخيرية الفعل ليرغب فيه، مثل قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْمَعُونَ كَلِمَٰةٍ مِّنْكَ عِندَ مَا لَيْتَقِيَنَّكَ لِمَٰلِ إِصْلَاحٍ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: 220] .

وأحيانا عن طريق ترتيب الوعد والثواب على الفعل، مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وأضعاف كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ [سورة البقرة، الآية: 228] إلى غير ذلك من طرق التعبير المختلفة التي يسلكها الأسلوب القرآني في تقرير هذه الحقائق المفروضة، وبهذا كان تعبيره موطن الإعجاز ويظل أسلوبه في المنزلة العليا من الفصاحة والبيان، يقول محمد عبد الله دراز: « فالجديد في لغة القرآن أنه في كل شأن يتناوله من شؤون القول يتخير له أشرف المواد، وأمسها رحما بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، وأقبلها للامتزاج، ويضع كل مقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين. لا يوما أو بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلا، ولا الساكن يبغي عن منزله حولا .. وعلى الجملة يجيئك من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان»¹.

ويقول الرافعي: « من ذلك يخلص لنا أن القرآن الكريم إنما ينفرد بأسلوبه، لأنه ليس وضعاً من إنسانيا البتة، ولو كان من وضع الإنسان لجا على طريقة تشبه أسلوبا من أساليب العرب أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد، ولا من الاختلاف فيه عند ذلك بد في طريقته ونسقه ومعانيه ﴿وَلَا يَكُومُ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ يَجِئُوا . فِيهِ أَخْتِلَافٌ كَثِيرًا﴾ [سورة

¹ محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، تقديم: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ- 2005م، ص: 121.

النساء، الآية: 82] ؛ ولقد أحس العرب بهذا المعنى واستيقنه بلغاؤهم ولولاه ما أفتحوا ولا انقطعوا من دونه؛ لأنهم رأوا جنسا من الكلام غير ما تؤديه طباعهم، وكيف لهم في معارضته بطبيعة غير مخلوقة؟¹

وملخص القول (أن اللفظ الذي انتقاه الله من أفصح لغات العرب يمتاز عن غيره من الألفاظ السائدة في كلامهم بثلاث سمات رئيسية:

الأولى: جمال وقعته في السمع.

الثانية: انسجامه الكامل في المعنى.

الثالثة: اتساع دلالاته لما لا تتسع له عادة دلالات الألفاظ الأخرى.

وقد نجد هذه السمات الثلاثة في بعض الأساليب الأدبية، ولكنها لا تجتمع كلها في أسلوب أديب)² ولا يتوقف الأمر عند هذه الخاصية؛ بل نجده - أيضا - يتصف بسمات أخرى منها السمة الآتية:

2-7 دقة التصوير:

من جمالية التعبير تكون دقة التصوير، وهو من السمات الأساسية البارزة للأسلوب القرآني في طريقة التعبير عن المعاني والأفكار والتصورات التي يريد إيصالها وإيضاحها للمخاطبين، سواء كانت معاني ذهنية مجردة، أو قصصا غابرة، أو مشاهد ليوم القيامة وغيرها من المجالات الأخرى والتي سنذكر منها ما يتعلق ببحثنا الدراسة الأسلوبية لسورة النازعات في الفصل الثاني من هذا البحث.

إن الأسلوب القرآني يجسد المعنى الذي يراد إيضاحه للمتلقي في قالب من الصور البيانية تجعلها كأنها مجسمة منظورة بين ناظره، فينظر القارئ في تفصيلات الصورة، وكأن

¹ الرافعي مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت، ج2، ص 135.

² انظر محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 331.

المشهد يجري بين عينيه حيا متحركا، فتكون أقرب إلى الفهم وأوضح في الذهن مما لو نقل المعنى مجردا من تلك الصور الحية. يقول محمد بكر إسماعيل: « فالقرآن الكريم يبرز المعاني المعقولة في صور محسنة منتزعة من الواقع المشاهد، مؤتلفة ائتلافا عجيبا في قوالب كلية متحركة، تشعر فيها بالأصوات والألوان والحركات، مما يجعلك تعيش مع الواقع الذي تصوره لك هذه التشبيهات والاستعارات والكنائيات، المسبوكة سبكا فريدا يأخذ بمجامع القلوب، ويملك على الإنسان حسه ومشاعره، فلا يحتاج إلى مزيد تصوير للحقائق التي يذكرها القرآن في ثنايا هذه اللوحات البارة البديعة في عناصرها، وائتلافها وانسجامها مع معانيها ومراميها.

إنها تشبيهات واستعارات وكنائيات حيوية، تستمد حيوتها من الطبيعة في أسمى مظاهرها وأبهج مناظرها.. ومن سماته التي اكتشفوها بالاستقراء والتتبع لهذه الصور البيانية أنها تصور الغائب حتى يصبح حاضرا، وتقرب البعيد النائي حتى يصير قريبا دانيا. ومن سماتها إنها تتغلغل في النفس البشرية حتى تصير جزءا من كيائها الروحي.

ومن سماتها أيضا التلوين في التشبيهات، فكثيرا ما يكون المشبه واحدا والمشبه به شيئا فأكثر، تثبيتا للمعاني المرادة، وتعميقا لآثارها في النفس. ومن ذلك ما شبه الله به حال

المنافقين في سورة البقرة، بقوله جل شأنه ﴿لَا يَخْلُقُ سَوَاءً﴾ ١٧ وهم كمثل الظلال في سماءهم

حوله وذهب الليلورهم وتسوكهم في ظلهم ولا يدرون يوم يحسرون ﴿١٧﴾ ضمم بهم وعسى فهم لا يرجعون ﴿١٨﴾

أ - موكبهم يد من ليلهم - فيه ظلهم وتسوكهم يجرطون أ - صبيهم في عذابهم من الصوعق حنر

لأعدت والله محيط يكفر بين محيط بالطورهم قكلم - أ - ضا - رءل - وهم مشوا - فيه وإذا -

أ - ظلهم عسى - هم ق - ماوا - وحوشا - رءلله - لذهب يسعهم وأحصرهم على الكمل - شىء ق - دير ﴿٢٠﴾ [سورة

البقرة، الآية: 17-20].

والتشبيه الأول ناري والثاني مائي، والمشبه فيهما المنافقون، والمشبه به أمور كثيرة مؤتلفة لا ينفك بعضها عن بعض، والصور فيهما كلية متزاحمة في نسق فريد، لإبراز أحوال هؤلاء المنافقين إبرازا لا تخفى معه حقيقة من حقائقهم، ولا خفية من خفاياهم، فقد أخرجت لنا ما كان يدور في خلجات نفوسهم من شر أردوا به المسلمين، وما كانت تتطوي عليه ضمائرهم من خبث ومكر ودهاء، وكشف لنا بجلاء عن عاقبة أمرهم في الدنيا والآخرة. فهي في إدعائهم الإيمان كمن أوقد لنفسه نارا لينتفع بها، وفي إخفائهم الكفر يكون مثلهم كمثل من لم ينتفع بالنار التي أوقدها، أو أوقدت له، فالمنافقون قد أظهروا الإيمان حماية لأنفسهم وأموالهم، ولتكون لهم مثل ما للمؤمنين من الحقوق العامة في الغنيمة، والزكاة، وغيرها.

لكنهم بكفرهم الذي أخفوه فأظهره الله في محكم آياته فقدوا الانتفاع والتمتع بهذه الحقوق الدنيوية، وفقدوا أيضا ثواب الآخرة، وحرموا نور الله الذي أوقدته في قلوبهم فطرة الله التي فطرهم عليها، وأوقده لهم نبيهم بما كان يتلوه عليهم من قرآن. وهم في تخوفهم من أن يفتضح أمرهم، واحتيالهم في إخفاء كفرهم، وإفسادهم في الأرض، ومداهنتهم المؤمنين تارة، وطاعتهم لشياطينهم من الجن والإنس تارة أخرى؛ كمثل أهل الصيب الذين يكونون في أمس الحاجة إليه، فينزل عليهم مصحوبا برعد وبرق، وظلمات بعضها فوق بعض، فهم يطمعون في الغيث، ولكنهم يخشون ما يصحبه من رعد وبرق وظلمة، يحاولون أن يتجاهلوه بوضع أناملهم في آذانهم توكيا من الموت فزعا وهلعا، ولكن دون جدوى، فالله محيط بهم وبأمثالهم.

ومثلهم في ترددهم في شأن الإيمان، وحيرتهم بين إرضاء إخوانهم من اليهود والمشركين، لنيل ما في أيدي كليهما من المنافع العاجلة، مثلهم في ذلك كمثل من يمشي في ظلمة حالكة، لا يبصر تحت قدميه شيئا، فيبترق البرق، فيمشي على ضوءه هنيهة، فإذا ذهب

البرق -وسرعان ما يذهب -وقف كما هو، لا يقدم رجلا ولا يؤخر أخرى، فقد بلغ به الأمر أقصى درجات الخطر، فأفقدته القدرة على مجرد التفكير في الذهاب والإياب.

وفي هذين المثليين وجوه من التشبيه لا تكاد تتحصر، فهي تختلف بحسب حال الممثل له في جميع مواطنه وشتى عصوره، بحيث لو أجري كل مثل من هذين المثليين على قوم من المنافقين في أي عصر، وفي أي مكان، لطابق المشبه المشبه به، وطابق الاسم المسمى. ومن عجيب أمر الأمثال في القرآن الكريم أنها تخلو من المبالغات التي تخرج الكلام عن المعاني المرادة إلى جو من الخيال المفرط، الذي يؤدي إلى تشتت الأذهان، وذهاب الحقائق وخلو الأسلوب عن الإقناع العقلي، وإن صحبه شيء من الإمتاع العاطفي.

لهذا كانت تشبيهات القرآن، وأمثاله صوراً حية تعبر عن الواقع، لا تعدوه إلى غيره، ومع ذلك تجدها لا تخلو من الإمتاع العاطفي، والتأثير الوجداني، بما اشتملت عليه من ألوان المعاني والبيان والبديع، الذي يخلو تماماً من التكلف والتعسف، مع رقة في النظم والحواشي والفواصل، كانت ولا تزال زادا للبلغاء والأدباء، ومتمعة عظيمة لكل ذواقة لفنون الكلام البليغ في أسمى صورته، وأبهى معانيه. ..

وهكذا نجد العلماء في كل زمان ومكان يخلقون في سماء القرآن لاستتباط معانيه من خلال مبانيه، ويبحثون في جد عن لطائفه البلاغية، ودقائقه اللغوية، ليقفوا من وراء ذلك كله على معانيه ومرامييه بقدر طاقتهم البشرية. لكنهم لا يحصلون منه إلا غرفة من بحر، أو رشفة من غيث، فهو كتاب الله القويم، وحبلى المتين ونوره المبين»¹.

وبهاتين الخاصيتين يكتسب أسلوب القرآن الخاصية الموالية والتي هي :

3-7 قوة التأثير:

¹ محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 333- 335.

الأسلوب « القرآني يميل إلى قوة التأثير بجميع الوسائل الفنية »¹، وذلك مدعاة بالضرورة إلى التأثير في الإنسان لأنه المستهدف الأول في الخطاب القرآني، وهكذا رأيناه مع جمالية التعبير من حيث جودة المعنى وحسن التركيب وبراعة التوظيف مع قوة الإيقاع، إلى أن وصلنا لدقة التصوير، وما يحمله من لوحات فنية تخاطب كل كيان الإنسان في صورة حية مشرقة.

فالصورة البيانية للأسلوب القرآني تبعث في النظم قوة التأثير بنفوذها إلى الذهن وتسربها منه عبر أغوار العقل إلى أعماق القلب، لتلامس مشاعر الإنسان بمؤثراتها القوية الفاعلة، حتى تصل تلك الصورة إلى محاصرة الإنسان من كل مشاعره؛ الجسدية والنفسية والفكرية والوجدانية.

وبالرغم من « أن الذهن منفذ من منافذ المعنى، ولكنه ليس المنفذ الوحيد له، فالإيقاع يشترك مع الذهن في توصيل المعنى ويزيد عليه في قوة التأثير في النفس »²، وهكذا يجمع القرآن في أسلوبه التأثيري بين وسائل التعبير ووسائل التصوير، « ولا تعجب من هذا القول، فإنك لو تهيات لتلاوته أو سماعه بقلب مفتوح مجرد عن الشهوات والشبهات لسبق قلبك إلى تلاوته لسانك، وسبق إلى سماعه أذنيك، ومن ذاق عرف »³.

يقول الزرقاني في الخاصية الثانية للأسلوب القرآني وهو يبين قوة التأثير فيه: « إرضاءه العامة والخاصة، ومعنى هذا أن القرآن الكريم إذا قرأته على العامة أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم، وكذلك

¹ أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، ط2، سنة 1999م، ص 249.

² عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، ط2001م، ص 395.

³ محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 339.

الخاصة إذا قرأوه أو قرئ عليهم أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته وفهموا منه أكثر مما يفهم العامة ورأوا أنهم بين يدي كلام ليس كمثل كلام لا في إشراق ديباجته ولا في امتلائه وثروته ولا كذلك كلام البشر فإنه إن أَرْضَى الخاصة والأذكياء لجنوحه إلى التجوز والإغراب والإشارة لم يَرْضِ العامة لأنهم لا يفهمونه وإن أَرْضَى العامة لجنوحه إلى التصريح والحقائق العارية المكشوفة لم يَرْضِ الخاصة لنزوله إلى مستوى ليس فيه متاع لأذواقهم ومشاربهم وعقولهم»¹.

ويقول في الخاصية الثالثة: « إرضاءه العقل والعاطفة ومعنى هذا أن أسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معا ويجمع الحق والجمال معا انظر إليه مثلا وهو في معمعان الاستدلال العقلي على البعث والإعادة في مواجهة منكريهما كيف يسوق استدلاله سوقا يهز

القلوب هزا ويمتع العاطفة إمتاعا بما جاء في طي هذه الأدلة المسكتة المقنعة إذ قال الله سبحانه في سورة فصلت: ﴿مَنْ عَابَتْهُ مِنَ الْعَشَقَرِ فَأُولَئِكَ سِمْبَكٌ لَمْ يُغْنِ عَنْهَا وَهُمْ يُرِيدُهَا خَالِطًا ١٠٢﴾

أَهْرَبُوا مِنْ آلِ أَبِي سَلَمَةَ إِذْ سَأَلُوهُمُ عَنِ الْوَالِدِ كَذِبًا لَمْ يَقُولُوا عَلَيْهِمْ جَنَاحُ الْمَوتِ أُولَئِكَ نَجِثِ اللَّهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ١٠٣﴾ [سورة فصلت، الآية: 39]

وإذ قال في سورة فرق ﴿يُحِبُّونَ مَا يَخْتَلِفُ فِيهِ لِيَلْجَأَ الْفِتْنَةُ إِلَى الْوَالِدِ كَذِبًا لَمْ يَقُولُوا عَلَيْهِمْ جَنَاحُ الْمَوتِ أُولَئِكَ نَجِثِ اللَّهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ١٠٣﴾

﴿فَبِمَا نَسُوهُنَّ لِيُثَبِّتَنَّ اللَّهُ لِيَأْتِيَنَّكُمْ فِي الصَّوَارِعِ الْكَلْبَاءِ ١٠٤﴾ [سورة فرق، الآية: 11]

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا يَفْتَرُونَ لَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ١٠٥﴾ [سورة فرق، الآية: 11]

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا يَفْتَرُونَ لَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ١٠٥﴾ [سورة فرق، الآية: 11]

6-11]، تأمل في الأسلوب البارع الذي أقنع العقل وأمتع العاطفة في آن واحد حتى في

الجملة التي هي بمثابة النتيجة من مقدمات الدليل إذ قال في الآية الأولى إن الذي أحياها

لمحي الموتى وفي الآيات الأخيرة كذلك الخروج، يا للجمال الساحر ويا للإعجاز الباهر

¹ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 313.

الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معا بأنصح الأدلة وأمتع المعروضات في هذه الكلمات
المعدودات!«¹.

وبهذا الحديث عن الأسلوب القرآني ننهي الفصل الأول من البحث لندخل الفصل
الثاني والذي خصصناه للتحليل الأسلوبي لسورة من سور القرآن الكريم وهي سورة النازعات
كنموذجاً.

¹ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص 313 .

الفصل الثاني

التحليل الأسلوبي لسورة النازعات

1- المعنى الإجمالي (مجمّل ما ورد في سورة النازعات).

2- الدراسة الأسلوبية لسورة النازعات.

أ- المستوى الصوتي.

ب- المستوى الافرادي.

ج- المستوى التركيبي.

د- المستوى الدلالي.

3- مرجعيات النص.

4- التكرار في الفاصلة القرآنية.

1- مجمل ما ورد في سورة النازعات:

تعالج السورة أصول العقيدة الإسلامية، ومحورها يدور حول القيامة وأهوالها، وعن مآل المتقين ومآل المجرمين.

أ- ابتدأت بالقسم بالملائكة الأبرار وهم يدبرون شؤون الخلق بأمر الله تعالى، وينزعون الأرواح كل بحسب عمله، قال تعالى: ﴿وَالْمُنزِعَاتِ غَوَاً ۝١ وَأَلْمُنَشِّطَاتِ ذَمَّطًا ۝٢﴾
وَأَلْمَسِيحَاتِ سَجَاً ۝٣﴾ أَلْمَسِيحَاتِ سَجَاً ۝٣﴾ ﴿فَلْيَدْبُرُوا بَيْنَهُمَا ۝٥﴾ [سورة النازعات، الآية: 01-05].

ب- صورت يوم القيامة وحال المشركين يوم البعث والنشور، من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجُلُ أَهْلًا أَمْ كَرِهَاتٍ ۝٧﴾ [سورة النازعات، الآية: 06-07].

ج- تناولت الحديث عن قصة موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية وكيف كان عقابه وذلك للاعتبار والتسلية، من قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّتَهُ لِيُكَلِّمَهُ بِهَا ۝١٥﴾ [سورة النازعات، الآية: 15-16] إلى قوله تعالى: ﴿فَلْيَكْفُرْ ۝١٦﴾ [سورة النازعات، الآية: 16-15].
[سورة النازعات، الآية: 26].

د- تحدثت عن طغيان أهل مكة وذكرتهم أنهم أضعف من كثير من مخلوقات الله، من قوله تعالى: ﴿لَا يَعْظُمُ وَلَا يَشْجُرُ ۝٢٧﴾ [سورة النازعات، الآية: 27] إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَعْظُمُ وَلَا يَشْجُرُ ۝٢٧﴾ [سورة النازعات، الآية: 33].

هـ- تنتقل للحديث عن أهوال القيامة وحال الكافر ومصيره، وحال المؤمن ومصيره، من قوله تعالى: ﴿لَا يَعْظُمُ وَلَا يَشْجُرُ ۝٢٧﴾ [سورة النازعات، الآية: 34] إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَعْظُمُ وَلَا يَشْجُرُ ۝٢٧﴾ [سورة النازعات، الآية: 41].

و - ختمت ببيان وقت الساعة الذي استبعده المشركون، من قوله تعالى: **يَلْمِزُونَكَ بِذُنُوبِهِمْ**

ألساعة أي لمن همسها ﴿ [سورة النازعات، الآية:42] إلى قولك **يَلْمِزُونَكَ بِذُنُوبِهِمْ**

بإلا عجيبة ﴿ - وضحدها ﴿ [سورة النازعات، الآية:46].

2- الدراسة الأسلوبية لسورة النازعات:

لقد حفلت النازعات بمستويات لغوية راقية جاءت لخدمة المعنى إذ إن كل ما في السورة من

فواصل وتقابلات وتراكيب جاء لخدمة إظهار الحدث المركزي الوحيد وهو ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

يَا لَسَاهِرَةٌ ﴿ [سورة النازعات، الآية: 14] الدخول للمعاندين في النار فتضافر الصوت والتركيب في

عرض هذه الدلالة لتغدو قريبة للعين.

2-1 المستوى الصوتي:

يعد البناء الصوتي لأي لفظة جانبا مهما في إنتاج الدلالة، إذ إن العمل الفني "هو أولا نظام

للأصوات، ثم انتقاء من النظام الصوتي للغة ما"¹.

أ - الفواصل:

"تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب، لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين بها

القرآن بقية الكلام، وسميت فواصلًا، لأنه ينفصل عندها الكلامان"²، وسندرسها على أساس

عدد المقاطع.

¹ أوستن وارين رينيه، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، مطبعة خالد الطرابيشي، ط3، 1972م، ص 266.

² عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، 1982، ص 6 .

أ- 1 الفواصل الثنائية المقطع:

وردت الفواصل الثنائية المقطع في قوله تعالى: ﴿وَالْمُنزِعَاتِ غَقًا ۝١ وَالْمُنشِطَاتِ شَطًا ۝٢﴾^١ وألصحت سجا ۝٣ فألصقت سب دقا ۝٤ فلبد برأت دمرأ ۝٥ [سورة النازعات، الآية: 01-05]، إذ تشكلت الفاصلة من مقطعين طويلين، الأول مغلق (غر)، (نشد)، (سب)، (سب)، (ام)، والثاني مفتوح (قا)، (طا)، (قا)، (را)، وهذا التشكيل بقصره متناسب مع المعنى المراد من الآيات، إذ أريد بهذا المقطع من السورة، نقل صورة حسية لحركة عدو الخيل، وما فيها من معاناة لتجميع قوتها في الانطلاق المهول السريع، وهذا ما أكدته أصوات الفواصل، من خلال خلقها جو الحركة السريعة في بذل أقصى الطاقات، فالراء وهو صوت مجهور يقرع الأذن ويوقظ الأعصاب" بذلك يكون له بعد الإثارة الجهورية "1 تكراري جيء به بعد الغين المجهورة المفخمة، ثم اتبعت بـ (القاف).

الشديدة الانفجار المتبوعة بالألف التي منحتها طولاً وامتداداً لبلوغ الغاية القصوى للانطلاق تماماً كما يمد اللجام للخيل دلالة على السرعة المتناهية لها²، فالانتقال بالأصوات بين الجهر والانفجار يتناسب مع هدف الصورة الحسية للتعبير عن قوة الجذب والمعاناة، وهذا ما أطلق عليه بـ (الدلالة الصوتية) أو (رمزية الألفاظ)³.

ولم يتوقف هذا الإحساس بالحركة السريعة المتناهية الغاية، بل نجده يتبع بأصوات الفواصل اللاحقة للفاصلة الأولى، إذ نجد هيمنة السين والشين على الفواصل التالية لها،

¹ مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص 33.

² ينظر عائشة بنت عبد الرحمن (بنت الشاطيء)، التفسير البياني، دار المعارف، مصر، 1962م، ص 110.

³ ينظر كاصد ياسر الزيدي، الجرس والإيقاع في القرآن الكريم، مجلة آداب الرفادين، جامعة الموصل، العدد 9، سنة 1978م، ص 337.

ولاسيما المقطع الأول منها (نش) (سب)، والسين والشين من الأصوات المهموسة، وفي اجتماعهما يؤديان معنى العظمة الكاملة والقوة القادرة في التحرك والانطلاق، فأصوات الفاصلة الثانية تنطق بسهولة على اللسان، فصوت النون بين الشدة والرخاوة والجهر يلتقي بالسين المهموسة الرخوة المرفقة ببسر وسهولة انتقالا للطاء المهموسة أيضا، وهذه الأصوات متناسبة في تصوير سهولة انطلاق هذه الخيل، دلالة على هيمنة الفارس عليها وقدرته الفائقة على تسييرها .

ولزيادة تصوير هذا المشهد الحسي في عدو الخيل السريع وإبرازه في إطار تعجيزي يثير الدهشة والتعجب منه، جاء هذا العدو السريع على الماء وليس على الأرض اليابسة، إذ قال تعالى: ﴿وَأَلْسِيحَتِ سَاجًا﴾ [سورة النازعات، الآية: 03]، فحركة الخيل في غير مسارها تتطلب قوة وعنفا أكثر مما تحتاجه فيما لو كانت على الأرض المستوية، وفي هذا مدعاة لإبراز القوة التي تتطلبها، وهذا ما ناسبت به أصوات الفاصلة (سبحا) أيضا إذ نجد السين المهموسة بما فيها من صفير بالتقائها بالباء المجهورة الشديدة، فتوقع على اللسان نوعا من التوقف الإجمالي المتمثل بإطباق الشفتين ثم انفراج الفم بانفجار الصوت حتى ينتقل إلى الصوت الاحتكاكي (الحاء) المهموس المرفق، دلالة على التدرج في التخلص والتمكن من الانطلاق بعد ما عانت في تجميع قوة للانطلاق. لتنتهي وتستمر الأصوات الذلقية تداولا على اللسان، وهي تنطق هذه الصورة الحسية، فصوتا الراء والميم بخفتيهما وسلالتهما على اللسان يؤكدان سهولة

القيام بحركتها. وكأنها لا تحتاج إلى من يقودها. فتلك الأصوات صورة متحركة ملموسة لحركة الملائكة وما لها من قوة واقتدار وانصياع لأمر خالقها في تنفيذ أمره عز

وجل مقربة لصورة حسية وهي حركة عدو الخيل. فأصوات الفاصلة جاءت مكملة لرسم الصورة الحسية الممهدة للدخول في الحدث المركزي وهو يوم القيامة .

أ-2 الفواصل الثلاثية المقاطع:

كان لهذا النوع من الفاصلة النصيب الأكبر في سورة النازعات، فقد منحت السياق طاقته الإيحائية، فجاءت مكملة للمعنى وهادفة إلى إيضاحه، بل جاء هو طالبا لها وملحا على وجودها وعنصر مكمل لها، ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَسْمَعَ تَرْجُفَ الْأَجْنِحَةِ ۗ وَرِيثَ الْمُرْجِ ۗ﴾

﴿لِيَسْمَعَ تَرْجُفَ الْأَجْنِحَةِ ۗ وَرِيثَ الْمُرْجِ ۗ﴾ ﴿لِيَسْمَعَ تَرْجُفَ الْأَجْنِحَةِ ۗ وَرِيثَ الْمُرْجِ ۗ﴾ ﴿لِيَسْمَعَ تَرْجُفَ الْأَجْنِحَةِ ۗ وَرِيثَ الْمُرْجِ ۗ﴾ ﴿لِيَسْمَعَ تَرْجُفَ الْأَجْنِحَةِ ۗ وَرِيثَ الْمُرْجِ ۗ﴾

فقد تكونت كل واحدة من هذه الفواصل من ثلاثة مقاطع، تماثلت جميعها من حيث أنواع

المقاطع كالآتي :

را / ج / فة

را / د / فة

وا / ج / فة

خا / شد / عة

حا / ف / رة

ن / خ / رة

خا / سد / رة

وا / ح / دة

مقطع طويل مفتوح + مقطع قصير + مقطع قصير مغلق

الفواصل الأربعة الأولى صور بها مشهد القيامة وارتجاج الأرض وتزلزلها، فالفاصلة (را /ج /فة) بأصواتها مصورة لهذا التزلزل فالراء صوت مكرر فضلا عن تذبذبه بين الشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق والجهر، وكأن هذا هو الاهتزاز صعودا ونزولا، وهذا ما يصور الزلزلة، فالراء يتكون عند اندفاع الهواء فتخرج سلسلة من الضربات المتكررة التي تحدث رنيناً صوتياً¹، وتمنح الألف بانسيابيتها وامتدادها قوة في تكرار الراء، والملاحظ على هذه الفواصل هيمنة أصوات المد على المقطع الأول منها المدمج بأصوات غالبيتها مجهورة تمثلت بـ (راء، واو، نون)، وحتى المهموس منها (الخاء) فهو صوت استعلاء، وهذا ما يشعرا بسطوة الارتجاج المكتنز رهبة واندعاشا، وهذا المعنى يوحي به انتهاء المقطع الأول بصوت الألف، والمقطع الثاني يمثل نقطة ارتكاز وتكثيف للحدث؛ إذ يتمثل بصوت الجيم المجهور المتقلقل، والبال الانفجاري الشديد المجهور الانسدادي فالمقطع الثاني يمثل ذروة الحدث، كما ترسمه الأصوات، وحلقة وصل للمقطع الثالث منها المنتهي بالهاء التي تشعرا بانغماس الناس في هذه الرجفة واحتوائها لهم .

كما أن الفاصلتين الثالثة والرابعة وردتا ملائمتين أشد الملائمة لتصوير مشهد الاستسلام والخضوع (واجفة، خاشعة) . فالمقطع الأول منهما (وا، خا) أضفى مسحة "الذل يجتمع عليها الخوف والانكسار، والرجفة والانهيال"². وهذا ما أكدته المصوت الطويل - الألف .

¹ بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د.ت، ص 128.

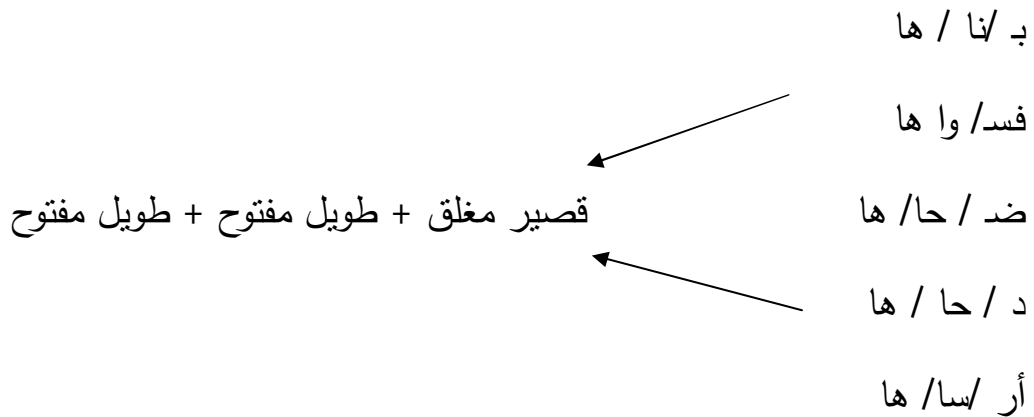
² سيد قطب، في ظلال القرآن، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ط5، 1967م، ص 30، ص 250 .

وقد غلبت الأصوات المهموسة في تصوير الخشوع، بينما كانت الأصوات المجهورة صفة الأصوات للفاصلة (واجفة)، فالدلالة اللفظية تتواشج مع الدلالة الصوتية لتحقيق المعنى المراد¹.

وللتشكيل المقطعي لهذه الفواصل تأثيره في توضيح المعنى، إذ وردت الفاصلة السادسة بـ (مقطع قصير + مقطع قصير + مقطع قصير مغلق) على خلاف المقاطع الأخرى التي تبدأ بمقطع طويل مفتوح، فقد هيمن المقطع القصير على تشكيلها المقطعي، وفي هذا مناسبة دقيقة لمعنى الفاصلة (نخرة) وليس (ناخرة) وفي هذا دلالة أوضح على شدة تفتت العظمة وصغرها حتى يكاد يصعب تخيل إعادة ترميمها وتشكيلها من جديد، وفي هذا مناسبة أكثر للتعجب .

ومن الفواصل الثلاثية في السورة قوله تعالى ﴿سَنُخِطُّ لَهَا سَاقًا مِّنْ قَبْلِهَا أَلَمْ نَكُنْ بِهَا مِنشُورًا﴾ [سورة النازعات، الآية: 27-32].
 سَمَكُهَا ف - سَمُودِهَا وَأُخْرٍ - غَطِيلٌ - هَا وَأُ - خَرَجَ ضَحْبِهَا ﴿٣١﴾ - وَأَلْرُضُ بَعْدَ ذَلِكَ حَرْبُهَا - ﴿٣٢﴾ - خَرَجَ مِنْهَا
 مَا - هَا وَمَوْعِدِهَا ﴿٣١﴾ - وَالْجِبَالُ مَسْمُومَةٌ ﴿٣٢﴾ [سورة النازعات، الآية: 27-32].

فالبناء المقطعي لكل واحدة من هذه الفواصل على النحو الآتي :



¹ كاصد ياسر الزبيدي، الجرس والإيقاع في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 351.

فالمقاطع الطويلة تسيطر على هذه الفواصل، التي تصور النعيم الدنيوي، وفضل الله سبحانه على الإنسان في خلق الكون مسخرا له في تناسق وتناغم، فالانسجام والتلاؤم قائمان في هذا السياق بين أصوات الفاصلة ودلالاتها اللفظية، فالمقطعان الثاني والثالث من كل فاصلة (طويل مفتوح) بالألف الممدودة مما يعطي انسيابية في متابعة المد حتى آخر فاصلة، وكأنها تظهر النعيم بطريقة متأنية مسترسلة، فهذه المدود المتتابعة فيها صور تنتهي إتقان الصنع في الكون، فضلا عن الانبهار به، وعدم تفاوته .

كما إن متابعة المدود وانسيابيتها تمنح السياق التعبيري جلالا وعظمة، وهذا ما نتلمسه في فواصل الآيات الآتية: **يَسْمَعُونَ دَعْوَىٰ أَلْسِنَةٍ أُولَٰئِكَ مِنْ هُنَّ حَمِيمٌ** ﴿٤٢﴾ **فِي نَارٍ مُّصَدِّقَةٍ يُصَدِّقُونَ** ﴿٤٣﴾ **إِلَىٰ سَرِيرٍ مِّنْ هُنَّ مَتَّعِينَ** ﴿٤٤﴾ **إِلَيْهَا - نَتَّعِنَا مِنْ - يَخْتَلِفُ هَاهُنَا - يَسْمَعُونَ دَعْوَىٰ أَلْسِنَةٍ - إِلَىٰ عِصِيٍّ - وَضَحِيحَةٍ** ﴿٤٦﴾ [سورة النازعات، الآية: 42-46].

إذ توحى هذه المدود العميقة برهبة الساعة وعظمتها ومن قيامها الذي غيب وقته، فبقيت تثير الدهشة والخوف من ذكرها في النفوس.

وسورة النازعات رسالة تحذيرية ترهيبية؛ لذا فالفواصل وردت فيها متناوبة بين الثنائية والثلاثية المقطع، متناسبة مع الرسالة الإجمالية للسورة فالموقف لا يتطلب وقفات صوتية مديدة ومزيدة، بل هي تحذيرات حاسمة مدعمة بصور ذات وقع موسيقي سريع، تعمل كمنبه ذهني للعقل والفكر متمسكة بموقفها العقدي.

ب- التكرار الصوتي:

ب-1 التكرار الصوتي المقيد: والمتمثل بفني التجنيس والتكرار على أساس أن اللفظة الثانية ما هي إلا تكرار صوتي لكل أو بعض أصوات الكلمة¹.

ومما جاء من التجنيس الاشتقاقي قوله تعالى: ﴿سَمِيعٌ تَحِيفُ أَمْ حَرَجَةٌ﴾ [سورة النازعات، الآية: 06]. بتكرار (الراء والجيم والفاء)، والتكرار الصوتي يخلق جواً نغمياً يعمق المعنى ويساعد في إبرازه². إذ بتكرار هذه الأصوات أبقّت صورة ارتجاج الأرض عالقة في الذهن، بل أن هذا التكرار جسم للأعيان الأرض وهي تتحرك حركة شديدة وتزلزل زلزلة عظيمة، من دون توقف .

ومن التجنيس الاشتقاقي بنية اسم الفاعل ﴿وَأَلْمَشِطَتِ ذَمِشَطًا﴾^٣ -وَأَلْسِيحَتِ سَبْحًا^٤ فـ - أَلْسِيحَتِ سَبْحًا^٥ [سورة النازعات، الآية: 04-06] . ، ومعنى (الناشطات نشطاً) من النشاط وهو السهولة واليسر في انطلاق الخيل، ولكن في تكرار اللفظة أضفى على المعنى دلالة الإفلات من العقال وفي هذا زيادة في تصوير سرعة الانطلاق. ونجد هذا أيضاً في (السابحات سبحاً) و(السابقات سبقاً)، إذ أن تكرار الأصوات الانفجارية الشديدة المتقلقلة فضلاً عن الرخوة الصفيرية التي تمنح اللفظ نبرات صوتية عالية ومنتدفة تتسجم وحركة الخيل وهي تتسارع في سبقها.

ومن الملاحظ على سورة النازعات كثرة ورود الأصوات بحيث لا يمكن الركون إلى مستوى صوتي واحد أو إثبات لأصوات محددة متكررة، سواء كانت مجتمعة أم متفرقة؛ كما قسمها احد الباحثين إلى نوعين:

¹ ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم له وحققه أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ط1، 1959م، ج2، ص157.

² ينظر محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1985م، ص 90، 92.

- الأصوات المهيمنة: وهي التي يكون تكرارها أكثر من غيرها.

- الأصوات المؤازرة: وهي التي يكون تكرارها أقل وضوحاً¹.

ب-2 الهيمنة العددية:

- كانت الهيمنة الأساسية للمصوت الألف، ثم يتبعه الواو بثلاثين مرة، ثم الياء بإحدى وعشرين مرة، هذا عن المصوتات.

- تكرر اللام في السورة تسعا وعشرين مرة، أما النون فقد تكرر إحدى وثلاثين مرة.

- الراء تكرر إحدى وأربعين مرة .

- أما الأصوات المجهورة فكان تكرارها بنسبة أكبر من الأصوات المهموسة.

ج- الموازنات الصوتية:

وهو ما كان بين طرفين يتناظران كلياً أو جزئياً في عناصر تكوينهما الصوتي²، وقد

وردت موازنات صوتية بين مقاطع الفواصل، وبشكل واضح ولاسيما في المشهد الحسي

التمهيدي، إذ تماثلت المقاطع البنائية فيها : ﴿وَالْمَنْزَعَتِ غَفَا ١﴾ وَأَلْمَشِطَتِ ذَمِشْطَا ٢﴾

﴿وَأَلْسِيحَتِ سَجَا ٣﴾ فَأَلْسِيحَتِ سَجَا ٤﴾ فَلَبَدٌ بِرَاتٍ مَهَا ٥﴾ [سورة النازعات، الآية: 01-05].

فالبناء المقطع للفواصل (- -)، وهذا التوحد في البناء التشكيلي يخلق إيقاعاً موحداً للصورة،

ومن ثم في رسم الحركة المشخصة في المشهد فكل مقطع لا ينقص أو يزيد عن الآخر،

فالحركة متساوقة لا تباين فيها.

والذي أكد سرعة هذا الإيقاع المتواشج مع الحركة السريعة، النغمة الواحدة، لفقرات

المشهد الخمس، إذ تقل فيها المدود، وكل فقرة منها تتألف من كلمتين، أولاهما تحتوي على

¹ حامل مزعل الراوي، المكونات الصوتية للإيقاع وأنماطه في الشعر والنثر (دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1966م، ص 181.

² محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، منشورات دراسات سال، ط1، الدار البيضاء، 1991م، ص 11.

بعض المدود الطويلة، وثانيهما وهي فاصلة الآية كلمة ثلاثية لا مد إلا في آخرها، فهذه الفقرات الخمس ترسم إيقاعا يمثل عدو الخيل وانطلاقها في سرعة فالتة من عنانها .

من الموازنات الناتجة عن التكرار الصوتي، في فواصل الآية ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَغْشَى لَيْلٍ سَاهٍ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۖ وَأَلْرَضَّ بِذَلِكَ جُنُودَهَا ۗ﴾ [سورة النازعات، الآية: 29-30].

فمع اتفاق كلمتي (ضحاها)، (دحاها) في بنائها المقطعي (هـ --) فإنهما قد تماثلتا في الأصوات (الحاء والألف والهاء والألف)، إذ تخلق هذه الموازنة الصوتية إيقاعا طويلا وهادئا وقويا في الوقت ذاته، معلنا كبر النعم التي أولاها الله للإنسان، ومن ثم فهو نعيم لا تعرف مدة المتاع فيه.

وللإيقاع دور بارز في رسم الصورة المجسمة فضلا عن توازنها المقطعي فقوله تعالى: ﴿يَمْحُومُ تَمْحُومٌ أَلْرَاجِفَةُ تَتَدَثَّرُ بِهَا الْإِذْفَاءُ ۗ﴾ [سورة النازعات، الآية: 06-07].

فالإيقاع سريع وبموجات متدفقة ومتسارعة وتردادية وكأن ليس لها نهاية . فهي إيقاعات مستمرة تضرب على الأذن (راجفة/ رادفة/ واجفة/ خاشعة) فتشيع جوا مكهريا تتسارع له نبضات الأفئدة فضلا عن المدود الطويلة في الفاصلة، التي رسمت بإيقاعها صورة الاندهاش التي تأخذ حاضر هذا المشهد.

ومن الموازنات الصوتية الأخرى، قوله تعالى: ﴿يَمْحُومُ تَمْحُومٌ أَلْرَاجِفَةُ تَتَدَثَّرُ بِهَا الْإِذْفَاءُ ۗ﴾ [سورة النازعات، الآية: 35-36]، فالموازنة قائمة بين الفعلين (سعى) (يرى)

إذ البناء المقطعي لهما، هذه الموازنة جاءت مكملة لرسم صورة الحدث بشكل متكامل، إذ بمجرد أن كل إنسان سينال جزاء أعماله التي أحصاها في الدنيا، وسيعلم مصيره النهائي بحسب عمله، ستظهر حقيقة ما كان يختلف فيه ﴿يَمْحُومُ تَمْحُومٌ أَلْرَاجِفَةُ تَتَدَثَّرُ بِهَا الْإِذْفَاءُ ۗ﴾ [سورة النازعات،

الآية: 36]، إذ قد يكون هذا الإبراز، هو انكشاف للحقائق التي كان يمارى فيها الإنسان ويختلف عليها . فضلا عن سرعة حصول الأمر بين التذكر للسعي وحصول الرؤية للجحيم. وهناك موازنة حاصلة بين نوعين من التراكيب في قوله تَعَالَى: ﴿لَا يَأْتِيهِمْ فِيهَا الْهَوَىٰ أَصْحَابُهَا لَهُمْ فِيهَا مِنزِلٌ وَأَنزَلَ فِيهَا سُرُورًا﴾ [سورة النازعات، الآية: 16-17]، إذ وازن صوتيا بين طوى اسم مكان وطغى الفعل وبنائهما المقطعي (ه -).

2-2- المستوى الافرادي:

من المعلوم أن لكل صيغة في القرآن الكريم وضعت في مكانها لتؤدي ما لا تستطيع غيرها من الدلالة. من حيث الصرفية والزمنية "فسلطان الألفاظ والصيغ مرتبط بما تثيره من الصور، وما تبثه من إحياء، وهو شيء مستقل عن معناها اللغوي، زائدا عليه"¹. نجد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجَافَةُ﴾ [سورة النازعات، الآية: 06]، عدل عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل، والأرض هي المرجوفة وليست الراجفة. كل هذا ليعطي اللفظة طواعية وتلقائية للحدث، وليصرف النظر عن الفاعل الحقيقي لها وهو الله سبحانه وتعالى، لغاية تركيز الانتباه على الحدث، فضلا عن معنى المباغته التي تحملها الصيغة . وهذا ينطبق أيضا على الصيغ (رادفة وخاسرة وحافرة). من دون اغفال للصورة التجسيمية التي اكتتفت الصورة .

وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجَافَةُ﴾ [سورة النازعات، الآية: 10-12].

خاسرة ﴿﴾ [سورة النازعات، الآية: 10-12].

¹ عبد الغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط1983، ص

نجد أنه استعمل في القول الأول (يقولون) في حين القول الثاني استعمل (قالوا) وهذا العدول في الصيغ الصرفية له دلالات توضيحية للمعنى المراد من السياق، وذكر المفسرون أن القول الأول جاء على وجه الاستهزاء والإنكار، أما القول الثاني فهو للاستهزاء من دون إنكار، إلا أن العدول في الصيغ الصرفية يؤكد لنا حقيقة واحدة، وهي أن القولين قيلا في موقف واحد ولكن في حالتين نفسييتين مختلفتين.

ففي الموقف الأول تناغتهم الرجفة فتتبعها هزة ووجيف وخشوع، فهم يقولون في دهشة المأخوذ وحيرة من فوجئ بما لم يكن في حسابه قط : أننا لمردودون في الحافرة ؟ أذا كنا عظاما نخرة ؟ ولم يكن الموقف ليحتاج إجابتهم عما سألوا عنه، وقد مضى الأمر وصار كل هذا الذي ماروا فيه واستبعده واقعا مشهودا، فلما عابنوا أفيقين ﴿ تِلْوَ هَذَا سَكْرَةٌ خَلْسِرَةٌ ﴾ [سورة النازعات، الآية: 12]. في حسرة ويأس¹.

وقوله تعالى: ﴿ خذْهُ ۖ اللَّهُ ذِكْرُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴾ [سورة النازعات، الآية: 25]، (أخذه) بصيغة الماضي مع أن عذاب الآخرة مستقبل، ولكنه راعى أنه ذكر (الأولى) وهو الفرق في الحياة الدنيا، ثم أن أخذه في الآخرة أكيد لا محالة منه ف جاء بصيغة الماضي .

أ- الزمن في الأبنية الصرفية :

إن اختيار صيغة صرفية بزمن ما له تأثير بالدلالة المطلوبة في ذلك النسق لا يظهر تفاعلها في غيره، إذ للزمن قدرة تفاعلية تعبيرية للدلالة والسياق في الآن ذاته. ففي وصف المشهد الحسي التمهيدي للسورة جيء بصيغة الجموع بقوله تعالى: (والنازعات والناشطات والسابحات فالسابقات) وهي صيغ جموع المؤنث السالم، لتدل على إرادة الحدث، فضلا عن التركيز على الحدث ذاته والاهتمام به وصرف النظر عن الفاعل الحقيقي.

¹ عائشة بنت عبد الرحمن بنت الشاطيء، التفسير البياني، مرجع سابق، ص 124.

ومن الأبنية الصرفية المجردة من الزمن اسم المصدر (غرقا ونشطا وسبحا وسبقا)، وكان لهذا الاستعمال دلالة على قصر التركيز على عنصر الحدث دونما تأثير للزمن أو الذات فيه، ولاسيما أن هذه الصورة الحسية سيقت لأجل التمهيد لمشهد يوم القيامة.

وفي قوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ - وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة النازعات، الآية: 33]، اسم المصدر (متاعا) جاء خال من الزمن، وفي هذا تناسب مع سياق تغييب قيام الساعة، وانتهاء الحياة، فلا يعلم كم هي المدة التي يتمتعون فيها.

ومن الصيغ المجردة من الزمن صيغة المرة (زجرة)، وفي هذا زيادة تأكيد معنى المرة الواحدة، إذ لا يوجد زمن بين الزجرة والامتثال لها، ولا حاجة لتكرارها، فضلا عن دلالة وقوع الحدث مرة واحدة، لأنهم كانوا ينكرون قيام الساعة، ورد بصيغة المرة المجردة من الزمن، لأنه حدث (بالنظر إلى صياغته)، مرة واحدة وانتهى الأمر، ولم يستعمل المصدر الصريح أو الميمي، وعدل إلى اسم المرة، الذي يحقق الغرض المنشود، فعلى الرغم من حدوثه مرة واحدة، إلا أن هذه المرة فيها كفاية وغنى عن إعادة الحدث مرة أخرى .

واسم المفعول (نكال) في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ يَتَّبِعْهُمَا يَلْعَنُ اللَّهُ لَهُ إِنَّهُ كَانُوا سَاءً مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة النازعات، الآية: 25]، ثابت الزمن مع العلم أن هذا النكال سيكون لزمانين مختلفتين، أحدهما في الدنيا والثاني في الآخرة، فورد بصيغة اسم المفعول ثابتة الزمن، دلالة على أن النكال متحقق لا جدال فيه.

ومن الصيغ المتغيرة الزمن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ يَتَّبِعْهُمَا يَلْعَنُ اللَّهُ لَهُ إِنَّهُ كَانُوا سَاءً مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة النازعات، الآية: 34] الفعل (جاء) فعل يدل على الماضي، وهو على صيغة (فعل) الدالة على ذلك، ولما جاء في سياق من مكوناته (إذا) وهي ظرف لما يستقبل به من الزمان، عرف أن الطامة لم

تجيء بعد. فصيغة (فعل) تغير الزمن فيها من الماضي إلى الاستقبال، وفي مجيئه على صيغة الماضي دلالة تحقق الوقوع، أي أنه واقع لا محالة.

وقوله تعالى: ﴿تِلْوَءِ مَكِّ إِذَا نَكَبُوا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [سورة النازعات، الآية: 12]، القول هذا لم يقع بعد، وإنما هو قول يوم القيامة، عندما تشاهد أهوالها، إلا أن السياق ورد بصيغة الماضي (قالوا) الدالة على الماضي، والسياق جاء ضمن نص يتحدث عن المستقبل الغيبي، منح هذه الصيغة دلالة المستقبل، وقوله تعالى: ﴿مَوْرِتٍ أَلْحَجِيمٍ لِمَنْ يَسْرِ﴾ [سورة النازعات، الآية: 36]، الفعل (برزت) ورد بصيغة المبني للمجهول، الذات فيه نائب الفاعل، والحدث هو الإبراز - الإظهار - والرابط بينهما الفعل الذي يحتاج إلى زمن كاف لتحقيقه، وإسناد الفعل إلى غير فاعله، إنما هو إشعار بظاهرية الأمر، أي أنه بين لا يخفى على أحد، وفيه أيضا صرف للنظر عمدا عن الفاعل الحقيقي للحدث، تقريراً لفاعليته التلقائية وتركيزاً للانتباه على الحدث. وفي قوله تعالى: ﴿لَسْءَوْذِكْ عِىَ أَلْسَانِهِمْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [سورة النازعات، الآية: 42]، يسألونك بصيغة المضارع، مع أن السؤال قد سئل للرسول من قبل الكفار، وفي وروده على هذه الصيغة دلالة على كثرة تردده على الألسن، بل وكثرة تردده في فكر الإنسان فهو سؤال دائم التكرار.

2-3 المستوى التركيبي:

لعله لا يخفى أثر التركيب في إنتاج الدلالة بل هي تتولد منه، إذ "التركيب متى افتقد الدلالة افتقد قيمته"¹؛ لذا كان اختيار تركيب على آخر دليل نبوغ بلاغي على آخر، ومنه يتميز النص ويؤثر، ومنه سجل إعجاز القرآن على النصوص البشرية، بأسلوب تركيبه.

أ - طول الجملة وقصرها :

¹ توفيق الزبيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 73.

يعتمد على الوحدات التركيبية وكل وحدة لها وظيفتها داخل الجملة اذ تتكون الجملة من كلمتين هما المسند والمسند إليه وكل ما عداه فضلة من عطف وتابعية، وكل منها لها بعدها الدلالي داخل الجملة¹.

في قوله تعالى: ﴿وَبِيسْمِهِذِي وَعِظَةٌ أَلْبَسَهَا خَشِيعَةٌ﴾ [سورة النازعات، الآية: 08]-

[09]، تكونت الجملة من المبتدأ (القلوب) والخبر المتكون من جملة المبتدأ والخبر (أبصارها خاشعة)، وجملة يومئذ واجفة صفة للقلوب، والوجيف شدة اضطراب وقلقه من الخوف إلا أنه عد هنا فضلة، وكما هو معروف أن الوجل أكثر هولاً وأشد من الخشوع، ولكن وروده فضلة فيه دلالة لا تحصل لو أنه جاء به عمدة في الجملة، إذ دل بذلك على أن ليس كل القلوب هي واجفة، فقلوب المؤمنين مطمئنة يوم الفزع الأكبر .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَكَلِّمُكَ عِظْمًا نَخْرَةً﴾ [سورة النازعات، الآية: 11]، ف (نخرة) لا يمكن

الاستغناء عنها، إذ بها زيادة في التعجب، فهي ليست مجرد عظام يتم إعادة تشكيلها من جديد بل هي العظام نفسها منخورة ويجب إعادتها أولاً ثم إعادة تشكيلها، وهذا ما يزيد التعجب قوة .

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا رِضٌ بِذَلِكَ حَدِيثُهَا﴾ [سورة النازعات، الآية: 30-31]، نجد روعة استعمال الجار والمجرور (منها) في هذا السياق وبهذه

الدقة، فلو لم يأت بالجار والمجرور هنا لفهم من السياق إن الماء قد يخرج من الأرض أو من غيرها، إلا أنه سبحانه لما قال (منها) أفاد أن أصل الماء من الأرض، سواء ما يتفجر من الينابيع، أم ما ينزل من السماء فهو أصلاً من مائها الذي يتبخر ثم نزل في صورة مطر.

¹ جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984م، ص 41،39 .

واخرج من الأرض مرعاها وهو النبات الذي يأكله الناس والأنعام وتعيش عليه الأحياء مباشرة وبالواسطة¹.

ب- تغير الأسلوب:

انتقلت سياقات النازعات من بنية لأخرى، وبأنماط مختلفة في شكل ملفت للنظر، فمن أسلوب الإخبار إلى أسلوب الاستفهام كما في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ تَرْجُفَ أَلْحَافِقَةِ﴾^(١٠) - ﴿بِعَمَلِهَا لِحَافِقِهَا﴾^(١١) - ﴿وَبِذِي مِيزَانٍ﴾^(١٢) - ﴿وَأَحْقَابِهَا﴾^(١٣) - ﴿بِأَنَّهَا خَشِيعَةٌ﴾^(١٤) - ﴿وَأُولَئِكَ مَوْزَنَةٌ﴾^(١٥) - ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي آلِ حَافِرَةٍ﴾^(١٦) - ﴿أَلَمْ يَكُنْ عِظْمُ نَجْرَةٍ﴾^(١٧) [سورة النازعات، الآية: 06-11].

وهذا الانتقال جاء متناسبا مع الجو الذي خلقته السورة، وهو جو القيامة المتزلزل فيها كل شيء، والمرتعج الذي يثير الرعب والخوف والدهشة، فلم يستمر الأسلوب على نمط واحد وإنما أخذ الاستفهام أسلوبا في التعبير عن الوجع والدهشة التي تصيب من يشاهد هذا اليوم.

ونجد الانتقال من أسلوب الاستفهام إلى أسلوب للأمر في قوله تعالى: ﴿هَلْ تُدْرِكُهُ﴾^(١٨) - ﴿حَدِيثَ مَوْسَى﴾^(١٩) - ﴿إِذْ نَادَى بِأَوْدَانِهِ﴾^(٢٠) - ﴿مَقْصُورٍ﴾^(٢١) - ﴿أَنْ هَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِذْ هُوَ ظَلَمَ﴾^(٢٢) - ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَلَمِ نَارِ عَذَابِ﴾^(٢٣) [سورة النازعات، الآية: 15-18].

وقد بدأت بالاستفهام التمهيدي لتأهب تلقي القصة ومعرفة أحداثها والترغيب في سماعها، والانتقال إلى أسلوب الأمر، وكأن ينقله إلى مواقع القصة وأحداثها في وقت حدوثها، وفي هذا إثارة للاهتمام بالأمر أكثر، فضلا عن الدخول المباشر في الموضوع ونقله من دون مقدمات أو تمهيدات، إذ اقتصر على جمل قصيرة، وهذا ما يتناسب وإيقاع السورة السريع.

¹ ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، 30، ص 31.

وهذا الانتقال يعمل كمنبه أسلوبي متناسب والمعنى الإجمالي للسورة، وهو حقيقة الآخرة.

ج- الدقة في استعمال الأدوات.

لكل مفردة في القرآن وظيفة محددة لا تسد مكانها غيرها، إذ تميزت المفردة فيه بميزات ثلاث تؤسس المعنى من خلال "جمال وقعها في السمع واتساقها الكامل مع المعنى واتساع دلالتها لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخرى"¹، ففي قوله تعالى ﴿ رُدِّعَهُ إِلَى الْأَرْضِ رَدًّا لَهُ أَدْحَىٰ ﴾ [سورة النازعات، الآية: 20-23].

نجد أن أداة العطف (الفاء) غالبية على هذا النسق، ما عدا قوله (أدبر يسعى) عطف ب (ثم) معه . والآيات تعرض مراحل الانتقال من التكذيب إلى العصيان إلى ادعاء الربوبية وهو نهاية الكفرة وأتعس الطغيان، ففي خطوات متتابعة، تنتقل بالأمور من اقل إلى أشد كفراً، و(ثم) هنا للتدرج في درج الارتقاء في ذكر ما هو الأولى ثم الأولى من دون اعتبار للتراخي والبعد بين تلك الدرج، وليس أن الثاني بعد الأول في الزمان² .

أي أن اقتران (أدبر يسعى) ب (ثم) دلالة في الانتقال بقوة الكفر والعصيان، ف جاء ما بعدها ما هو أشد مما قبلهما . ففي البدء مجرد كذب وعصيان، وفيه إمكانية الرجوع عنه، إلا أنه بعد أن رأى الآية الكبرى (أدبر) والأدبار هنا الإعراض³، ثم سعيه في المواجهة لهذا الأمر للحيلولة دون تصديق موسى عليه السلام من قبل الناس، ثم انتقل إلى ما هو أشد عصياناً وهو ادعاء الربوبية .

¹ بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ط1، 1973م، ص 179 .

² ينظر فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، مطبعة التعليم، الموصل، 1986م-1987م، ص 233 .

³ عائشة بنت عبد الرحمن بنت الشاطيء، التفسير البياني، مرجع سابق، ص 131 .

ومن الدقة في استعمال الأدوات، استعمال المرادفات في قوله تعالى: ﴿ رَفَعَ سَمَكَهَا فَرَسَوْدِيهَا ﴾ [سورة النازعات، الآية: 28]، فالرفع مرادف للسّمك، إذ السّمك الارتفاع مقابل العمق "لأنه ذهاب الجسم بالتأليف إلى جهة العلو"¹، وفي هذا مبالغة في الرفع، دلالة على أن الرفع لا يتوقف على الارتفاع المكاني أو البعد الفضائي بل هو ارتفاع شامل بكل من معاني مادية ومعنوية.

وفي قوله تعالى: ﴿ لَسَاءَ ذِكْرِكِ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّ مَن مَّوَسِيهَا ﴾ [سورة النازعات، الآية: 42]، استعمل (أيان) للاستفهام عن إرساء الساعة وهي بمعنى (متى)، ومن دقة الأسلوب انه لم يستعمل هنا (متى) مع أنها تعطي المعنى نفسه، ولكن (أيان) يسأل بها عن الأمر العظيم، والمقام هنا مقام سؤال عن الساعة، والساعة أمر عظيم .

ومن الدقة أيضا إظهار لفظ (الساعة) في هذا المقام، وقد ذكرت بـ (الطامة)، فكان مقامها مقام الإضمار، إلا أن القصد من استقلال الجملة بمدلولها دعا إلى هذا الأسلوب .

الدقة في استعمال القصر في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا هِيَ نَجْوَةٌ رَّوْحَةٌ ﴾ [سورة النازعات، الآية: 13]، إذ هو قصر حقيقي المراد منه تأكيد الخبر "بتنزيل السامع منزلة من يعتقد أن زجرة واحدة غير كافية في إحيائهم"². وفي قوله تعالى: ﴿ إِذَا هُمْ بِأَلْسَاهِرَةٍ ﴾ [سورة النازعات، الآية: 14]، استعمل القرآن الأدوات بدقة متناهية إذ يضع لكل تعبير الأداة المناسبة للمعنى المراد تقريره، إذ جمع بين المفاجأة (إذا) والتفريع (ف) في هذا النسق وفي هذا الجمع أشد ما يعبر به عن

¹ مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1415م 30، ص189.

² محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984، 30، ص72.

السرعة مع إيجاز اللفظ، فقد كان هذا النسق من اقصر الأنساق تركيباً في السورة إلا أن الحدث فيه مكثف، وكل أداة من أدواته تؤكد معاني كثيرة

وفي قوله (فنادى) بالفاء، من دون أدوات العطف الأخرى دلالة على أن النداء أو القول من قبل فرعون كان بسرعة حضورهم، تنبيهها على حرصه الشديد إبلاغ ذلك إليهم .

د - التقديم والتأخير:

لأساليب التقديم والتأخير طابع جمالي تأثيري إلى جانب طبيعتها المعنوية والعلاقية¹، وكما يرى الجرجاني بأنه "باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية"².

وفي سورة النازعات صور من التقديم والتأخير، منه التقديم للاهتمام في قوله تعالى: ﴿مِمَّ تَمُوجُ الْمَوَاقِفِ أَمْ لِمَرَاةٍ تَنْجِبُ الْأَفْءَةَ ۗ﴾ [سورة النازعات، الآية: 06-07]، إذ قدم الظرف (يوم) على متعلقه (المرافعة) لأنه "الأهم في جواب القسم لأنه المقصود إثبات وقوعه، فتقديم الظرف للاهتمام به والعناية به"³.

وقدم (الآخرة) على (الأولى) في الذكر في قوله تعالى: ﴿خُذْهُم مِّنْ أَلْفِ مَوْجِدٍ مِّنْ مَّاءٍ يَوْمَ يُدْعَى الَّذِينَ كَفَرُوا حَتَّى يَصُوبُوا إِلَيْهِمْ الْأَسْفَلَ﴾ [سورة النازعات، الآية: 25]، وذلك لعظم شأنها ولأن موضوع السورة كله يدور حول الآخرة .

وقدم ذكر الطغيان على إثارة الحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ يَتْلُو آيَاتٍ لَّكُنَّ لَكُمْ ذِكْرًا ۚ وَمَنْ يُضِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ ۚ﴾ [سورة النازعات، الآية: 37-39]. وذلك لأن الطغيان من أكبر أسباب إثارة الحياة الدنيا، فلما كان مسبباً عنه ذكر عقبه مراعاة للترتيب الطبيعي.

¹ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، دار التنوير، ط1، بيروت، لبنان، 1985، ص 26 - 27.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، 1978م، ص 83.

³ محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 30، ص 66.

وتقديم الخبر (فيم) على المبتدأ (أنت) في قوله تعالى: ﴿فَلَيْمَ - نَت مِّن ذِكْرِهَا﴾ [سورة النازعات، الآية:43]، للاهتمام به ليفيد أن مضمون الخبر هو مناط الإنكار بخلاف ما لو قيل: أنت في شيء من ذكراها؟¹

وفي تقديم المجرور على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ سِرِّكَ مِنْهَا﴾ [سورة النازعات، الآية:44]، تأكيد العلم بموعد قيام الساعة إلى الله سبحانه، فهو وحده يعلم بأمرها ويتولى كل شيء فيها، فنقديم (إلى) لإفادة قصر الصفة على الموصوف .

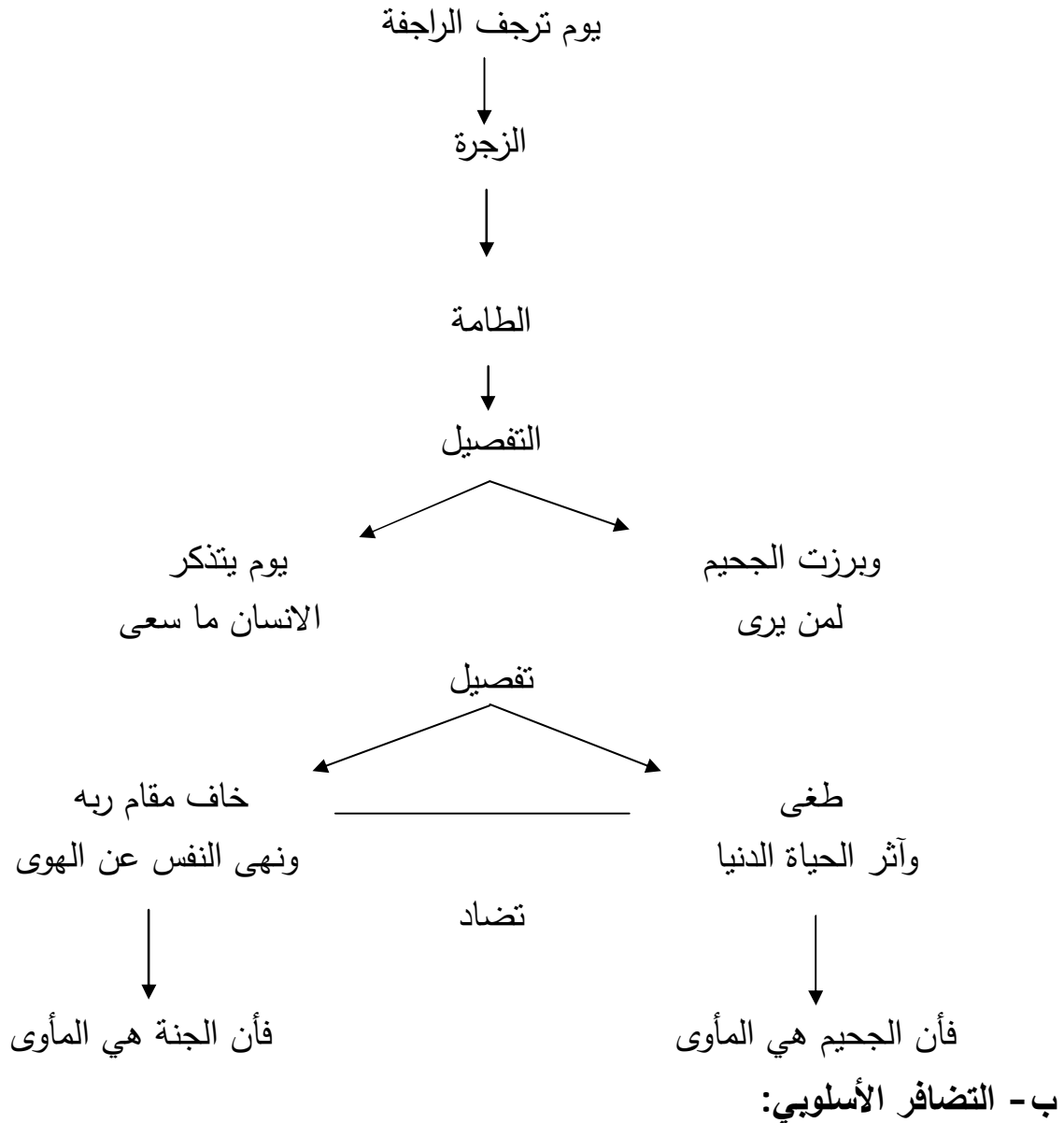
2-4 المستوى الدلالي:

أ - الإجمال والتفصيل:

من صور الإجمال والتفصيل في السورة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجَعُ أَلْمَأِذِينَ﴾ [سورة النازعات، الآية:06]، فحركة الأرض وزلزلتها هنا تحذير إجمالي، ثم فصل هذا التحذير مقرونا بالتبشير لمن تحلى بضده. إذ تبرز الجحيم لمن يرى، أي وهو أمام هذا الجحيم سيذكر ما قام به في حياته ليأتي بعد ذلك تفصيل لطريقين عرضا على الجحيم وثم استرجاع أعمالهم لينقسموا إلى قسمين القسم الأول الذي آثر الحياة الدنيا على أنه ترك أعمال الخير للآخرة وعمل لدنياه وما تهوى نفسه، فأن الجحيم ستكون مثواه، وأما الذي التزم طاعة الله في تفاصيل حياته فأن الجنة هي مأواه، فتم تفصيل الرجفة نفسه، وبيان كيفية حدوثها، ومعناها في بنيتين توصليتين، ثم فصل ما يتبع هذا الرجف في بنيتين متضادتين متقابلتين برز من خلالها معنى ترغيبيا ترهيبيا يضع الموازين مكانها وقد أعطت بنية الإجمال والتفصيل دلالة التدبير والأتعاض.

الإجمال

¹ محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 30، ص 157.



وقد عرفه عبد السلام المسدي بقوله : "إن تنتظم العناصر انتظاما مخصوصا يسمح باستكشافها طبق معايير مختلفة بحيث كلما تنوعت مقاييس الاستكشاف حافظت العناصر على مبدأ التداخل"¹.

والمعايير التي من خلالها يمكن استكشاف النص :

1- معيار المفاصل

2- معيار المضامين

¹ عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1983م، ص 78 .

3- معيار القنوات

ومعيار المفاصل هو تشابك مواطن الانتقال من شحنة إخبارية إلى أخرى¹، وسورة النازعات تكونت من 46 آية :

(1 - 5) سرعة انطلاق الخيل

(6 - 14) القيامة واهوالها

(15 - 26) قصة موسى وفرعون

(27 - 33) بيان شدة خلق السماء

(34 - 41) مجيء الساعة وتقدم الجزاء

(42 - 46) أمر الساعة مغيب

عملية الانتقال من قناة إلى أخرى مع ما يرافقه من تغيير في الدلالة يعكس وجود خاصية التضافر في هذه السورة . فقوله تعالى: ﴿مِمَّ تَحْوِفُ الرَّاجِعَةَ﴾^(٦) - ﴿بِءَعْيَارِ الْفُؤَادِ عِةً﴾^(٧) [سورة النازعات، الآية:06-07]، الارتكاز في هذه الآيات على القناة (هي) التي عبر بها عن الحديث عن الراجفة، حالة الأرض يوم تقوم الساعة، وهو حديث عن الغائب يتم الانتقال الى القناة الأخرى المتمثلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ عِظَمَاءُ نَحْرَةٍ﴾ [سورة النازعات، الآية:11]. فالحديث هنا للمتكم، إذ تمثل الآية القناة التعبيرية (نحن)، فالمغايرة أو التناوب في استعمال قناة ما مع ما يرافقها من تغيير في الدلالة يمثل قمة التضافر الأسلوبي.

وعنصر التغاير يحمل شحنة تنبيهية، وانعطافا مفاجئا في شد الذهن، ومن الملاحظ أن معيار القنوات في سورة النازعات أكثر من استعمال القناة الخاصة (بالغائب) وهذا ما يتوافق والمضامين الخاصة للسورة وعموم المعنى المقصود من السورة .

¹ عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، مصدر سابق، ص 79 .

بعد مسافة ليست بالقليلة من الخطاب بالغائب، ينتقل إلى المباشرة بالخطاب عبر القناة (أنت) في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [سورة النازعات، الآية: 15]. والقناة متناسبة جدا والمضمون الدلالي للسؤال القاصد للفت المثير، تمهيدا واعدادا للنفس لتلقي القصة، ثم الانتقال بالقناة للغائب (هو) ﴿ذُنُوبَهُمْ دَارُوا بِأَوْدَانِهِمْ لَأَنْعَمُوا﴾ [سورة النازعات، الآية: 16]، استعداد في سرد القصة، في درجة من القصر والسرعة تناسبا وإيقاع السورة العام، حتى ينتقل إلى الخطاب المباشر مرة أخرى، ﴿أَدْرَأَهُمْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِذْ يَخْرُجُ إِلَى نَجْدِهِمْ لَعَلَّ يَكْفُرُوا﴾ [سورة النازعات، الآية: 17-18] عبر القناة (أنت) وهذه الانتقال ضرورية للإيحاء بواقعية القصة وتوافقا مع السؤال التنبيهي في بداية الفقرة¹.

وفي الاستفهام الموجه للكافرين ﴿تَتَجَمَّعُونَ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة النازعات، الآية: 27] كان للقناة (انتم) ضرورة أسلوبية في النسق إذ وجه الحديث بها إلى دائرة التحدي والمواجهة المباشرة فضلا عن الردع الذي يؤسسه الخطاب التحاوري المباشر، في دلالة القوة والقدرة مما لو كان الحديث بطريقة الغائب .

أما المضامين الأخرى فقد ارتكزت القنوات الخاصة (بالغائب) القائمة على التغيرات بينها. فالحديث في المقطع الرابع يكون بالارتكاز على القناة (هي) بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَاءَ رَبَّنَا ظُلْمًا لَنَا وَلَهُ غَنَمٌ أُكْتَفِرَ لِهَا مِنَّا وَإِنَّا لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة النازعات، الآية: 34]. أما المقطع التالي لهذا فيكون الانتقال إلى قناة أخرى تحمل معنى مختلفا لسابقتها بقوله: ﴿يَوْمَ يَكْفُرُ لِإِنْسَانٍ مِمَّا سَوَّاهُ﴾ [سورة النازعات، الآية: 35]، وهذا التذكر نتج عن مجيء الطامة فعبر عنه بالقناة (هو) ليعود التعبير إلى القناة (هي) ﴿يَوْمَ يَكْفُرُ لِإِنْسَانٍ مِمَّا سَوَّاهُ﴾ [سورة النازعات، الآية: 36]، لتكتميل صورة الهول التي بدأها

¹ عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، مصدر سابق، ص 81 .

بقولها: ﴿ذَا جَاءَ رَحْمَتُ لَطْفًا وَمَعَهُ لَأْمُ حَكِيمٍ﴾ [سورة النازعات، الآية: 34]، ليعود إلى القناة (هو) ثم (هي) و(هو) و(هي) ﴿لَمَّا مَنَّ عَلَى الْوَهَّابِ﴾ [سورة النازعات، الآية: 37-39]. إذ فصلت هذه القنوات المقاطع . كل هذه الانتقالات جاءت لتخلق التضافر بين البنيات المكونة للسورة لإعطاء صورة متكاملة لذلك اليوم وحال المنكرين له .

ج- دلالة أساليب البيان:

تميز أسلوب القرآن بأساليب تصويرية عدة، يصل من خلالها إلى تصوير المعنى تصويراً دقيقاً بحيث يصل إلى المتلقي نافذاً إلى قلبه قبل عينيه، إذ "اعتمد فيه على الواقع المحسوس، والمتخيل المنظور"، فهو تصوير "تقاس الأبعاد فيه والمسافات، بالمشاعر والوجدانات فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية"¹.

ج- 1 التشبيه:

الصورة التشبيهية "تزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً"²، فهو من أساليب القول وفنونه جيء به ليؤدي رسالة ذات أثر، ويحقق أغراضه النفسية والنفيسة³ ومن الصور التي وردت في سورة النازعات في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ يَلُودٌ بِهِ مَوَاوِعُ مَلَأْتُمْ فِيهَا الْغَنَائِمَ﴾ [سورة النازعات، الآية: 46]، تصوير قيام الساعة في هذا النسق اعتمد الحالة النفسية في مقابلة مع المشهد الحسي الذي ابتدأت السورة به ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَوَاةٍ﴾ [سورة النازعات، الآية: 01-05].

¹ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعارف، د.ط، 1963م، ص 35 .

² أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ط: 2، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل، طبع البابي الحلبي، 1952م، ص 184، 183.

³ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1987م، ج2، ص 18.

وكان في نهاية السورة بهذا المشهد تحقق جميع الدلالات للسورة، الدلالات الحسية والنفسية. فيحصل تطابق تام في نقل المعنى للنفس الإنسانية. وشبه الإحساس باللبث في الحياة الدنيا، بعد قيام الساعة ب (عشية أو ضحاها) بأسلوب القصر، تعبيراً عن الانقلاب النفسي الذي يصيب البشر ذلك اليوم، وقد تعاضد التركيب اللغوي للآية مع عنصر التشبيه في تقريب الصورة، أما للتشبيه من قدرة تعين على تصوير المعنى واستقراره في النفس¹، إذ أسند الفعل المضارع (يلبثوا) لأداة الجزم (لم) لتمثل حالة استرجاعي بين زمنين ثبته الحصر ب إلا، وبترابطه مع التشبيه ليكون هذا اللبث مدة تقريبية قد تقل عنها، والعشية معبر بها عن مدة يسيرة من زمان طويل²، إذ قد تحدد من صلاة المغرب إلى العتمة أو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر³، أو ضحاها في زيادة تقليل المدة لأن الضحى أقصر من العشية، وهو وقت محدد في صدر النهار⁴، فالتأرجح ما بين الليل والنهار عزز عنصر المباغطة، وهو ما يخلق حالة من التوجس عند المتلقي، وذلك للتهديد في أمر الحياة الدنيا، وترهيب لأمر الساعة .

ج-2 الاستعارة:

وهي تقوم على نقل اللفظ من أصل له معروف بشروط خاصة⁵ وأكثر ما ورد من صور الاستعارة في السورة ما كان مجسماً ومشخصاً، ولعل أول صور الاستعارة هي تصوير شدة الصوت الذي يتملك الكون يوم القيامة باستعارة الرجفة له ﴿يَوْمَ تَرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [سورة النازعات، الآية: 06]، وقيل أن الراجفة هي " الصيحة الأولى، التي ترجف لها الأرض والجبال

¹ توفيق الفيل، فنون التصوير البياني، ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1987م، ص 155.

² محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتوير، مرجع سابق، 98، ص 254.

³ المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، معجم اللغة العربية الإدارية العامة للمجمعات ولحياء التراث، ج1، ص 603.

⁴ المعجم الوسيط ج1 ص 535.

⁵ توفيق الفيل، فنون التصوير البياني، مرجع سابق، ص205، وينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص31.

والأحياء جميعاً، ويصعق لها من في السماوات ومن الأرض إلا من شاء الله¹، فاستيعر الرفع لتمثيل الصوت الشديد، ليبين قوة الزلزلة والهول والاضطراب والوجل والرعب والارتعاش الذي سيصيب العالم آنذاك، ولم يتوقف التصوير عند هذا الحد، بل انطلق ليحكم على المتلقي قوة تأثيره بأن يسحب الرفع على الأرض حيث صورها (راجفة)، وهي مرجوفة، وهو أسلوب اعتمده القرآن الكريم في تركيز الانتباه على الحدث بشكل مكثف وقوي.

وفي استعارة تشخيصية قوله تعالى: ﴿جَهْلُؤْمٌ - مَكْحُوثٌ - مُوسَى﴾ [سورة النازعات، الآية: 15]، استعارة الإتيان لحصول العلم بالشيء " كأن الحصول مجيء إنسان على وجه التصريحية، أو كأن الخبر الحاصل إنسان أثبت له الإتيان على طريقة الاستعارة المكنية"².

وبما أن السورة اعتمدت المشاهد الحسية والتجسيمية، والتي تؤكد حصول القيامة وكأنها على مرأى البصر، بل أنها تعاش في لحظتها، وكان لابد من هذه الاستعارة التشخيصية في نقل خبر تاريخي حدث مسبقاً لينسجم وإيقاع السورة؛ ليصور بها أنه ليس مجرد نقل، بل أنه يشخص كإنسان حاضر يحكي لسان حالة .

ومن الاستعارات التجسيمية في سورة النازعات قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَاءْنَا لَطْمًا سَدَمَةً لَأَكْمَرِي﴾ [سورة النازعات، الآية: 34]، هذه الصورة اكتنزت بالاستعارات التجسيمية والتشخيصية على حد سواء، وأول مواجهة مع الاستعارة تجسيمه (الطامة) بمجيئها على سبيل الحصول والوقوع، " لأن الشيء الموقت المؤجل عند أجله فكأنه السائر أي إذا بلغ المكان المقصود"³، فالمجيء يتطلب جسماً متحركاً يبرز للعيان، وهي (الطامة) أي القيامة أعطاهها صورة أُرهب

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، 30، ص 25.

² محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 30، ص 74.

³ محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، 30، ص 90.

لأنه أسندها إلى المجيء، وبوصفها طامة منحها طاقة إيحائية كبرى في تصور هول اليوم ورعبه في النفوس. ولم يتوقف عن تصويرها بطريقة التجسيم إذ ينعته بـ (الكبرى) وهذا قمة التجسيم والتصوير.

وقوله تعالى: ﴿لَسَعُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّ مَن مَّهَسَهَا﴾ [سورة النازعات، الآية: 42]، يصور التعبير الفني (الساعة) جسما ضخما، إذ يرسم لها صورة السفينة السارية التي يسأل عن رسوها، تعبيرا عن وقوعها وحدثها، فكأنها سفينة جارية في عرض البحار لا يعرف أيان استقرارها وإرساؤها، فالرسو هو الثبات والإقرار¹.

وباستعارة (الرسو) للساعة لا يجسدها سفينة متحركة فحسب، بل سفينة تبلغ من الثقل ما لا يدرك شأنه؛ لأن كل شيء ثقيل يعبر عنه بأنه (رسا)، ونظيره (إرساء الجبال)، وفي هذا إشعار بثقل اليوم.

وفي قمة التجسيم الاستعاري للساعة قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَعِينٌ مِّنْ دُونِهَا﴾ [سورة النازعات، الآية: 46]، إذ جسم الساعة بإسنادها للرؤية، والرؤية تتطلب جسما بإبعاد ملموسة منظورة، وفي هذه الاستعارة تداعيات للأجسام المواجهة بحجومها، تأكيدا لحضورها وتشخصها وطغيانها على كل الإحداث المرئية المتاحة للعين الباصرة.

3- مرجعيات النص (علاقاته المتراسلة).

القرآن الكريم يتميز بأسلوب متفرد في تأسيس بنياته، ولعل من أبرز ما فيه علاقات النص المتراسلة، فنجد كل بنية منه لها مرجعيات نصية تسبقها بقصد التفسير، وإبراز

¹ العلامة ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي نشر أدب الحوزة، ط1، 1984م، ج19، ص 35.

عناصر جديدة يتطلبه الموقف، وتأكيدا لقضايا عرضت، ومنها لتكثيف المواقف والتركيز عليها لأهميتها . وما جاء مكثفا لصورة الحشر ولاسيما سورة النازعات إذ تمثل فيها مركز الحدث في قوله تعالى: ﴿مِمَّ تَخْفِئُ لَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ فَزَيْدٌ ذُو الْعَرْسِ ۗ قَالَ إِنَّمَا أَتَىٰ الْمَمْنَىٰ مِنَ الْمَقَدِّ ۚ فَاسْرِعِ النَّهْرَ لِمَا أَتَىٰكَ مِنَ الْغَدِّ ۚ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ۚ إِنَّمَا يُرِيتُكَ نَجْمِ الْمَضَالِقِ ۚ إِنَّهَا سُبْحَانَ الْعَظِيمِ﴾ [سورة النازعات، الآية: 06-07]، فحركة الأرض وزلزلتها يوم القيامة لها مرجعيات نصية موجزة ومفصلة في سور أخرى منها قوله تعالى: ﴿مِمَّ تَخْفِئُ لَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ فَزَيْدٌ ذُو الْعَرْسِ ۗ قَالَ إِنَّمَا أَتَىٰ الْمَمْنَىٰ مِنَ الْمَقَدِّ ۚ فَاسْرِعِ النَّهْرَ لِمَا أَتَىٰكَ مِنَ الْغَدِّ ۚ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ۚ إِنَّمَا يُرِيتُكَ نَجْمِ الْمَضَالِقِ ۚ إِنَّهَا سُبْحَانَ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الطور، الآية: 09-01]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ أَكْرَمْتُمْ ۖ وَلَا تَقُولُوا لِمَا كُنَّا نَعْمَلُ سَوَاءً ۖ وَلَا تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الرحمن، الآية: 37]، ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ وَسَبَّحَتِ الْمَدَائِدُ ۚ وَالسَّيِّدَاتُ يَازِعَانَا ۚ يَخِرْنَ ۚ إِنَّهَا إِذَا رُجَّتِ لَأَسْوَاقٌ ۚ﴾ [سورة الواقعة، الآية: 01]، ﴿وَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ وَسَبَّحَتِ الْمَدَائِدُ ۚ وَالسَّيِّدَاتُ يَازِعَانَا ۚ يَخِرْنَ ۚ إِنَّهَا إِذَا رُجَّتِ لَأَسْوَاقٌ ۚ﴾ [سورة الواقعة، الآية: 4-5]، ﴿وَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ وَسَبَّحَتِ الْمَدَائِدُ ۚ وَالسَّيِّدَاتُ يَازِعَانَا ۚ يَخِرْنَ ۚ إِنَّهَا إِذَا رُجَّتِ لَأَسْوَاقٌ ۚ﴾ [سورة الواقعة، الآية: 14]، ﴿وَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ وَسَبَّحَتِ الْمَدَائِدُ ۚ وَالسَّيِّدَاتُ يَازِعَانَا ۚ يَخِرْنَ ۚ إِنَّهَا إِذَا رُجَّتِ لَأَسْوَاقٌ ۚ﴾ [سورة الواقعة، الآية: 16]، ﴿وَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ وَسَبَّحَتِ الْمَدَائِدُ ۚ وَالسَّيِّدَاتُ يَازِعَانَا ۚ يَخِرْنَ ۚ إِنَّهَا إِذَا رُجَّتِ لَأَسْوَاقٌ ۚ﴾ [سورة المعارج، الآية: 08-09]، ﴿وَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ وَسَبَّحَتِ الْمَدَائِدُ ۚ وَالسَّيِّدَاتُ يَازِعَانَا ۚ يَخِرْنَ ۚ إِنَّهَا إِذَا رُجَّتِ لَأَسْوَاقٌ ۚ﴾ [سورة المزمل، الآية: 14]، ﴿وَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ وَسَبَّحَتِ الْمَدَائِدُ ۚ وَالسَّيِّدَاتُ يَازِعَانَا ۚ يَخِرْنَ ۚ إِنَّهَا إِذَا رُجَّتِ لَأَسْوَاقٌ ۚ﴾ [سورة المزمل، الآية: 18]، ﴿وَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ وَسَبَّحَتِ الْمَدَائِدُ ۚ وَالسَّيِّدَاتُ يَازِعَانَا ۚ يَخِرْنَ ۚ إِنَّهَا إِذَا رُجَّتِ لَأَسْوَاقٌ ۚ﴾ [سورة المرسلات، الآية: 08-10]، ﴿وَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ وَسَبَّحَتِ الْمَدَائِدُ ۚ وَالسَّيِّدَاتُ يَازِعَانَا ۚ يَخِرْنَ ۚ إِنَّهَا إِذَا رُجَّتِ لَأَسْوَاقٌ ۚ﴾ [سورة الانشقاق، الآية: 01-05]، ﴿وَإِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۚ وَسَبَّحَتِ الْمَدَائِدُ ۚ وَالسَّيِّدَاتُ يَازِعَانَا ۚ يَخِرْنَ ۚ إِنَّهَا إِذَا رُجَّتِ لَأَسْوَاقٌ ۚ﴾ [سورة الطارق، الآية: 11-12]، وسورة الزلزلة وسورة القارعة .

فصورة الزلزلة في النازعات جاءت مكثفة ومركزة، الصورة التي أكدتها النازعات هي زلزلة السماء التابعة/ الرادفة لزلزلة الأرض، (تتبعها الرادفة)، وزلزلة السماء ناشئ أو تابع لأرتجاج الأرض، فضلا عن تصويرها قوة الارتجاج والتزلزل الذي سيصيب الكون، فالأرض بما فيها

من جبال راسيات تدك دكة واحدة، لتغدو الجبال كثيبا مهيلا، وقاعا صفصفا، في حين هذه الحركة لا تتوقف بل تتصاعد بصورة لولبية إلى الأعلى لتأخذ معها كل ما عرفه الإنسان من كواكب وقد يفسر هذا (انشقاق، وانفطار) السماء - والله اعلم .

4- التكرار في الفاصلة القرآنية

إذا أردنا أن نبحث عن الإيقاع في سورة النازعات، فإننا نجد تنوعا مميزا في الإيقاع غطى سائر الفواصل لهذه السورة الكريمة، ويعد الإيقاع (من أهم مكونات النظم القرآني، وخصيصة مهمة في تشكيل أدائه وهو عامل جمالي في المظهر الصوتي للقرآن الكريم)¹، وتنوع الإيقاع الموسيقي والفاصلة والقافية، في هذه الصورة، قد يكون بتنوع الجو والموضوع²، الذي جاء في خمسة أنواع، كان وزن النوع الأول منه على مثال الفاصلة الأولى (غرقا)، وغطى فواصل الآيات الخمس من هذه السورة، وجاء وزن النوع الثاني على مثال (الراجفة) وغطى حتى فاصلة الآية (14)، بعد ذلك جاءت فاصلة الآية (26)، ومن الآية (34) إلى الآية (41)، أما الفاصلة التي على (بناها) (27) فقد استمرت إلى الآية (32)، ومن الآية (42) إلى الآية (46) نهاية السورة الكريمة، والملاحظ على فواصل هذه السورة أنها جاءت تتلاءم مع السياق العام للسورة، ليشكل الإيقاع فيها (تواترات صوتية وأسلوبية في نظم القرآن الكريم، تبدوا أحيانا على شكل تردد بسيط واضح، وأحيانا على شكل تردد معقد ومتعدد، ينطوي على التوازي والانتظام، وأحيانا يخالف التوقع لغاية يتطلبها النظم، وهذا الإيقاع يشمل النص الكريم ابتداء من اللبنة الصوتية الصغيرة، وانتهاء بالتركيب والسياقات الكبيرة)³،

¹ عبد الله محمد ياسين، الشمالية، الإيقاع في القرآن الكريم، السور المكية، الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير، إشراف عبد الله عنبر، 1999، ص 70.

² سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط17، 1992م، ج16، ص 2300.

³ عبد الله محمد ياسين، الشمالية، الإيقاع في القرآن الكريم، مرجع سابق، 1999، ص 70.

مها - ما - مها - موعدها ﴿٣١﴾ [سورة النازعات، الآية: 30-31]. ومع النوع نفسه من الفاصلة يختم الله تعالى به هذه السورة، من خلال الحديث عن الساعة ومرساها وذكرها ومنتهاها.

أما الفاصلة القرآنية في قوله تعالى: ﴿لَمَعَلَّكُمْ لَآءٌ - ذُرْعِمِكُمْ﴾ [سورة النازعات، الآية: 33]. فقد جاءت على غير الفواصل الأخرى في السورة الكريمة، ولتكون وقفة استراحة مصحوبة بالتأمل والتفكير والتعقل، ولتؤكد أن مهمة الفاصلة القرآنية هي "مهمة لفظية معنوية بوقت واحد، إنها مهمة فنية خالصة، لذلك ارتفع مستوى الفاصلة في القرآن بلاغيا ودلاليا عن مستوى السجع فنيا، وإن وافقه صوتيا"¹ ولتكون هذه الآية الكريمة تفصل بين النوعين السابقين من الفواصل القرآنية (يخشى) و(أرساها)، وهما ستكرران بعد هذه الآية بالترتيب نفسه.

ومجمل القول فإن تضافر عدد من المستويات في سورة النازعات بدء من الصوت (الفونيم) إلى الصيغة والتركيب لإظهار الحدث المركزي فيها، إذ يمكن القول إن سورة النازعات سورة مكثفة لما عرض من مشاهد يوم القيامة، إذ تركز الحدث داخلها، وقد برز عنصر البناء الصوتي في التمهيد لهذا الحدث المركزي متمثلا بالفواصل الثنائية والثلاثية وأكثر ما برز منها الثنائية المقطع لما تمثله من دلالة تطلبت وقفات سريعة متدفقة، فضلا عن هيمنة الأصوات المجهورة فيها .

كما نجد بروز صيغ صرفية من دون أخرى بالعدول إليها تساوقا للدلالة وتأكيذا لها. فضلا عن الموازنات الصوتية القائمة بين تراكيبيها، وانتقائها لأدوات من دون أخرى إظهارا لتلقائية الحدث وطواعيته للصورة المراد تقريبها في نفس المتلقي .

¹ الصوت اللغوي في فواصل الآيات القرآنية، جامعة قلمة، الجزائر، ص 03.

كما برزت الصورة التشخيصية المتمثلة باستعارة الصور الحسية تأكيداً لقوتها في رسم الحدث، كما نجد أن سورة النازعات جاءت مؤكدة لحدث مركزي ظهرت صورته بين السور التي سبقت سورة النازعات، فكان الإعلان الأخير له في صورة واضحة في سورة النازعات لأنها رسالة تحذيرية ترهيبية لكل من يجادل في يوم الحساب.

خاتمة

الخاتمة

بعد إبحار وجيز متواضع بقلم مقصر في رحاب هذه السورة الكريمة وما فيها من آلاء وجلال وعظمة واقتدار.

تتطوي على أمر البعث وعرض الخلائق على ربهم لينال كل عامل جزاء عمله، حق لا ريب فيه في يوم تعظم فيه الأهوال وتضطرب القلوب، وتخشع الأبصار، ويعجب المبعوثون من عودتهم إلى حياتهم الأولى بعد أن كانوا عظاما نخرة.

ولقد تخيرنا الأسلوبية فهي في الدراسة، لنقف ويقف منها القارئ على مرتكزات أساسية لهذا الارتقاء اللغوي من صوت وحركة وكلمة ونسق وفواصل، وصيغ صرفية ونحوية ومعجمية وبلاغية.

وإذ في الأخير نقف أمام هذا الجلال وهذا الجمال، ننوه إلى نتائج وتوصيات منها على سبيل المثال:

- الدعوة للرجوع إلى القرآن الكريم لاستخراج ما ورد فيه من الذكر والآي الكريم ومن الإعجاز الذي لا ينضب.

- القرآن الكريم للمتدبر في سورة كلها آيات وكتاب مفتوح لأي قارئ.

- لا بد لدارس القرآن الكريم من الرجوع إلى التبيان النبوي ضمانا لعدم الحيدة عن مقاصده.

- قال شيخ الإسلام "محمد الغزالي" رحمه الله "لا يفهم القرآن الكريم إلا أديبا" وهنا دعوة إلى تعلم اللغة العربية واتقان علومها.

- وظف التعبير القرآني أصوات الجهر والهمس والتفخيم توظيفا يقصد إلى تصوير المواقف وتشخيصا يشعرنا بما تحمله هذه الأصوات من دلالات ومعان، وأن هذا النظام الصوتي جاء

حاويا تشكيلات صوتية بما فيها من طاقات نغمية وشحنات إيقاعية أضافت على النص القرآني أجواء نفسية مؤثرة.

- تميزت السورة الكريمة بمعان أفادتها الصيغ الصرفية للأسماء والأفعال، وتميزت بتراكيب نحوية، وضحت المقاصد الكبرى.

- تجلت في المستوى البياني خصائص الصورة الفنية لسورة النازعات إذ اعتمد التعبير القرآني على التصوير بـ(التشبيه، الاستعارة،...).

- كشفت لنا الدراسة عن أجمل الصور البيانية التي أسهمت في إبراز المعاني وتأنفها في مشاهد متنوعة من سورة النازعات.

وفي الأخير نسأل الله عز وجل أن يوفق كل دارس وباحث ومفكر ومؤمن في تقصي حقائق القرآن العظيم وجمالياته، فهو غذاء للروح مما هو للعمل.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكرم برواة حفص عن عاصم.

المصادر:

- 1- عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، المقدمة، بيروت 1900م.
- 2- العلامة ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي نشر أدب الحوزة، ط1، 1984م، ج19 .
- 3- جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج98/97/7.

المراجع:

- 4- إبراهيم الخليل، النص الأدبي تحليله وبنائه، مدخل إجرائي، دار الكرمل، عمان، ط1، 1995م.
- 5- أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي - دمشق، ط2، 1999م.
- 6- أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب للطباعة والنشر، -عمار قرفي - باتنة، ط2، 1988م.
- 7- أوستن وارن رينيه، نظرية الأدب، تر: محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، مطبعة خالد الطرابيشي، ط3، 1972.
- 8- بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د.ت.
- 9- بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن الكرم، دار الشروق، ط1، 1973م.
- 10- توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، 1984.
- 11- توفيق الفيل، فنون التصوير البياني، ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1987م.
- 12- جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.

- 13- جان كوهن، بنية اللغة الشرعية- ترجمة محمد الوالي ومحمد العمري- دار تريفال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط1، 1996م.
- 14- جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.
- 15- حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، الدار العربية للكتاب، 2008م.
- 16- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعارف، د.ط، 1963م.
- 17- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ط5، 1967م، 30.
- 18- الصوت اللغوي في فواصل الآيات القرآنية، جامعة قالمة، الجزائر.
- 19- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدم له وحققه أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ط1، 1959م، ج2.
- 20- عائشة بنت عبد الرحمن (بنت الشاطيء)، التفسير البياني، دار المعارف، مصر، 1962.
- 21- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1974م، ج4.
- 22- عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، ط1، 2001 م.
- 23- عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، 1982م.
- 24- عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1983.

- 25- عبد الغني محمد سعد بركة، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط1، 1983م.
- 26- عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، 1982.
- 27- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
- 28- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، 1978م.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر الخانجي، القاهرة، د.ط، 1989م.
- 29- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، - قراءة وتعليق - محمود شاكر، مكتبة العانجي، ط5، 2004.
- 30- عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000.
- 31- علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبة البشري، ط1، 2010.
- 32- فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، مطبعة التعليم، الموصل، 1986-1987.
- 33- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1987م، ج2.
- 34- فيلي سندريس، نحو نظرية لسانية أسلوبية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003م.
- 35- كاصد ياسر الزيدي، الجرس والإيقاع في القرآن الكريم، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد 9، سنة 1978.

- 36- مجمع البيان في تفسير القرآن للطربسي، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1415م، 30.
- 37- محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، منشورات دراسات سال، ط1، الدار البيضاء، 1991.
- 38- محمد بكر إسماعيل: دراسات في علوم القرآن دار المنار، ط2، 1999م.
- 39- محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، تقديم: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، 2005م.
- 40- محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1408هـ-1985.
- 41- محمد طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984، 30.
- 42- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م، ج2.
- 43- محمد عكاشة، تحليل النص "دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي، ط1، 2014م.
- 44- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، دار التنوير، ط1، بيروت، لبنان، 1985.
- 45- محمد هادي معرفة، تلخيص التمهيد، ج2.
- 46- مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

- 47- مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ج2.
- 48- المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، معجم اللغة العربية الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، ج1.
- 49- منذر عياسي، الأسلوب وتحليل الخطاب، مركز الإنماء، ط1، 2001م.
- 50- يوسف العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع ط2، 2010م.
- الأطروحات والرسائل الجامعية:**
- 51- حامل مزعل الراوي، المكونات الصوتية للإيقاع وأنماطه في الشعر والنثر (دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1966.
- 52- عبد الله محمد ياسين، الشمايلة، الإيقاع في القرآن الكريم، السور المكية، الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير، إشراف عبد الله عنبر، 1999.
- 53- نجم الدين الطويسي، مختصر شرح الروضة، مؤسسة الرسالة، 1987م، ج1.

الفهرس

الفهرس:

إهداء

شكر وعران

مقدمة أ

الفصل الأول: قراءة في مصطلحات البحث (تحرير مفردات العنوان)

تعريف النص 06

التعريف الحدائي للنص 07

الإعجاز في اللغة والاصطلاح 11

تعريف الأسلوب 14

خصائص الأسلوب 17

أهم مميزات الأسلوب العلمي 18

أهم مميزات الأسلوب الخطابي 19

تعريف القرآن الكريم 19

الأسلوب في القرآن الكريم 22

الفصل الثاني: التحليل الأدبي للنص المعجز (سورة النازعات)

محمل ما ورد في سورة النازعات 36

الدراسة أسلوبية لسورة النازعات 37

المستوى الصوتي 37

47	المستوى الانفرادي
50	المستوى التركيبي
56	المستوى الدلالي
64	مرجعيات النص (علاقاته المتراسلة)
65	التكرار في الفاصلة القرآنية
70	الخاتمة
72	قائمة المراجع
	الفهرس